مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان
من خلال رسائل النور

الأستاذ عبد الوهاب بوخلخال[Ψ]

خطة البحث:

- تمهيد.

المبحث الأول: المباحث العامة للنبوة:

1. النبوة وحاجة الإنسان إليها.
2. ظاهرة الوحي.
3. صفات الأنبياء ووظيفتهم.
4. المعجزة.

المبحث الثاني: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

1. علاقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بنبوة الأنبياء السابقين.
2. الحقيقة المحمدية.
3. دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

أ- الدلائل الذاتية.

ب- الدلائل الخارجة عن ذاته.

ج- مضمون الرسالة المحمدية وآثارها.

- **الخاتمة.**
- **المصادر والمراجع.**

Ψ من مواليد سنة 1969 في مدينة تبسة الجزائرية. نال شهادة الماجستير في منهج النورسي في تقديم العقيدة من جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة. وحاليا يزاول التدريس في المعهد المذكور.

تمهيـــــــــد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

إن مبحث النبوة لا يقل أهمية في نظر النُوْرْسي عن مبحث التوحيد[1]، إذ يعده أحـــد المقاصد الأربعة التي يدور حولها القرآن الكريم، والتي يصادفها المتأمل في أغلب الســـور المطولة، وهي:

1- التوحيد.
2- النبوة.
3- الحشر.
4- العدل مع العبودية[2].

ولهذا بقدر ما وجدنا النُوْرْسي يسهب في بيان (التوحيد) باعتباره - كما رأينـــا - قطب الكمال الإلهي ومحوره، نراه أيضا يطيل الوقوف مع (النبوة) في مواضع عديدة من رسائله مجملة حينا ومفصلة حينا آخر، بشكل مستقل تارة وفي سياق إثبات التوحيد أو الحديث عن صفات واجب الوجود تارة أخرى، متحدثا عن (النبوة) عامـــة طـــورا أو مركزا على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طورا آخر.

ومن هنا سنتناول هذه المسألة من خلال مبحثين:

- **الأول**: نبين فيه تناول النُوْرْسي لمباحث النبوة بشكل عـــام: كضـــرورة النبـــوة ووظيفة النبي وصفاته والوحي والإلهام والمعجزة والكرامة والولاية...

- **الثاني**: نبين فيه تناول النُوْرْسي لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بنبـــوة بقية الأنبياء، والحقيقة المحمدية، ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .

المــبحث الأول:

المبــاحـــث العـــامة للنبـــوة.

نبين في هذا المبحث تناول النُوْرْسي لمباحث النبوة بشكل عام، مركزين على المسائل الأهم والتي يكثر من إيرادها والتعرض إليها، ويمكن حصرها في:

– تعريف النبوة (النبي) وظيفة النبي، صفاته، ظاهرة الوحي وما يتعلق بها، المعجـــزة، الولاية وعلاقتها بالنبوة.

والنُوْرْسي إذ يتناول هذه المسائل فهو لا يعطينا – كعادته – تعريفات مثل تلك التي نجدها عند المتكلمين، ولكنه يركز على ذكر الخصـــائص دون الخـــوض في الجزئيـــات والتفاصيل، كما لا نجد عنده مناقشات مباشرة للمنكرين أو المعترضين (إيراد الشـــبهة والرد عليها) ولكنه – حسب منهجه الذي سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الثاني – يرد بشكل ضمني دون ذكر الشبهة أو الوقوف عندها طويلا.

– والأهم في هذا المجال أن النُوْرْسي يحاول ربط هذه المباحث بالواقع وإن بـــدت في ظاهرها بعيدة عنه كل البعد (كتناوله لدلالة المعجزة)، وما ذاك إلا لتحقيـــق (الواقعيـــة والحيوية) التي انطلق منها في عرض العقيدة.

وهذه الملاحظات التي تقدمنا بها، تجعلنا نتوسل بالاستقراء لنصوص النُوْرْسي كـــي نظفر بتعريفات تقريبية لما سنتناوله من مفاهيم، كما تفرض علينا أن لا نغفل علاقة هذه المباحث بالواقع كما أراد النُوْرْسي أن يوضح.

وفيما يلي تفصيل هذه المسائل:

1– النبـــوة وحاجة الإنســـان إليها:

تدور أراء الناس في النبوة بين الإثبات والإنكار، يقول الماتريدي: " تكلم النـــاس في الرسالة فأثبتها أئمة الهدى وقادة الخير وحكماء البشر، وأنكرها من جهل صانعه، ومـــن أقر ممن جهل أمره ونهيه، ومن أقر بذلك ممن زعم أن في العقل الغني عن الرسالة، مع ما إمكان مقابلة آيات من ادعى الرسالة بصنيع الكهنة والسحرة والمشعبذة "[3].

فالمنكرون هم الذين جعلوا إرسال الرسل من قبيل المستحيل وهم البراهمة[4] والسمنية، زعموا أن إرسالهم عبث لا يليق بالحكيم لأن العقل يغني عن الرسل فإن الشيء إن كان حسنا عند العقل فعله وإن لم تأت به الرسل، وإن كان قبيحا عنده تركه وإن لم تأت به الرسل وإن لم يكن عنده حسنا ولا قبيحا فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه [5].

أما المثبتون فقسمان: قسم جعل إرسال الرسل من قبيل الواجب على الله تعالى وهم المعتزلة بناء على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح، فيقولون بأن النظام المؤدي إلى صلاح حال النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل [6]، والفلاسفة أيضا بناء على قاعدة التعليل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله تعالى وجود العالم بالتعليل أو بالطبع ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه.

أما القسم الثاني: فجعلوا إرسال الرسل من قبيل الجائز في حقه تعالى يرسلهم تفضلا وإحسانا إلى عباده [7] وهم أهل السنة.

فالمثبتون على هذا وإن اختلفوا في حكم الإرسال هل هو واجب أو جائز، فإنهم اتفقوا على ضرورة إرسال الرسل وحاجة الإنسان إليهم، ويسلكون لبيان هذه الحاجة – كما أوضح الإمام محمد عبده – مسلكين:

– **الأول**: انطلقوا فيه من الاعتقاد ببقاء النفس الإنسانية بعد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم، وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية.

ولما كان الإنسان عاجزا عن إدراك عالم الغيب بيقين، اقتضت حكمة الصانع الحكيم أن يصطفي من خلقه أناسا يميزهم بالفطرة السليمة ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والأمانة على مكنون سره، فيشرفون على الغيب بإذنه ويعلمون ما يكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس سكانها، ثم يتلقون أمره أن يحدثوا عن جلاله ما خفي على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما شاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لابد لهم من عمله، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول أفهامهم ،وأن يبلغوا شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله.

– **الثاني**: إنطلقوا فيه من طبيعة الإنسان نفسه، إذ الإنسان كائن اجتماعي، بيد أن تفاوت الناس في الإدراك والهمة والعزيمة قد يفضي بهم عند الاجتماع إلى التنازع وفوات المقاصد، فإذا أضفنا إلى هذا ذلك الشعور الفطري الذي يجده كل إنسان في نفسه يدفعه إلى البحث عن قوة أكمل وأقوى حتى لكأن كل نفس تشعر أنها مسوقة إلى

معرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها تارة أخرى، فتقترب من الحق حينا وتبتعد أحيانا أخرى، فتدين بالعبودية لمن تظنه الأكمـــل مـــن المخلوقـــات كالحيوانات والكواكب والأشجار والأحجار..

فهاتان الخاصيتان جعلتا الإنسان – وهو الكائن الاجتماعي – في حاجة إلى أفراد من جنسه يكونون أكمل منه، فيعطونه المحبة التي توحد بين أفراده فلا يهلكهـــم التنـــازع ويحملهم على إقامة العدل الذي يمنعهم من أن يعتدي بعضهم على بعض، ويهدوهم إلى المعبود الحق – سبحانه –[8].

وعلى هذا سار النُورْسي في التأكيد على ضرورة النبوة للإنسان، بل للعالم ككـــل، فهو يراها من مقتضى سر انتظام الكون بقدرة الله – سبحانه وتعالى –، فيقـــول: "إن القدرة التي لا تترك النمل من دون أمير والنحل من دون يعسوب لا تترك حتما البشـــر من دون نبي، من دون شريعة.. نعم هكذا يقتضي سر نظام العالم"[9].

كما أن ضرورة النبوة للعالم المعنوي كضرورة الشمس للعالم المادي، يقول: "اعلم أن القرآن كما يفسر بعضه بعضا، كذلك أن كتاب العالم يفسر بعض آياته بعضها، فكما أن العالم يحتاج احتياجا حقيقيا إلى شمس يفيض منها عليه أنوار نعمته – تعالى –، كذلك العالم المعنوي يحتاج أيضا إلى شمس النبوة لفيضان أضواء رحمته تعالى "[10].

وحاجة الإنسان إلى النبوة – باعتبارها أمرا (خارجا) يقوده إلى تحقيق سعادة الـــدنيا والآخرة – يؤكدها النُورْسي حينما يركز على إظهار أمرين:

1– ضعف الإنسان وعجزه.

2– سمو غاياته وأهدافه.

فالنُورْسي على امتداد الرسائل، وكلما تناول الإنسان بالبحث إلا ونبه إلى العجـــز والفقر ومحدودية القدرات التي ركبت فيه[11]، على الرغم من أنه – أي الإنسان – يختلف عن الحيوان الذي زود بأجهزة للكسب في الحياة الدنيا فقط[12]، وعلى الرغم من أنه أيضا إذا قورن ببقية الموجودات عد خلاصتها وفهرسها – كما سبق وأن أشرنا – فهو علـــى ضعفه (عالم صغير).

فهذا الكائن الضعيف يحدد له النُورْسي غايات سامية لوجوده، نجملها في تسعة أمور وهي:

1– القيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهيـــة بمـــوازين الحواس المغروزة في جسمه.

2- فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرته، ومعرفة الله - جلا وعلا - بتلك الأسماء الحسنى.

3- إعلان ما ركب فيه من الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعتها، وإظهار تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور وبجوانب حياته كافة في معرض الدنيا هذه.

4- إظهار عبوديته أمام عظمة ربوبية خالقه بلسان الحال والمقال.

5- التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها له تجليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الشاهد الأزلي - جل وعلا - مثله في ذلك مثل الجندي الذي يتقلد الشارات المتنوعة التي منحها له السلطان في مناسبات رسمية ويعرضها أمام نظره ليظهر آثار تكرمه عليه وعنايته به.

6- شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علم وبصيرة، إذ هي تحياتها ودلالاتها بحياتها على بارئها - سبحانه - ورؤية تسبيحاتها لخالقها، رؤية بتفكر وعبرة، إذ هي رموز حياتها .. وعرض عبادتها على واهب الحياة - سبحانه - والشهادة عليها، إذ هي غاية حياتها ونتيجتها.

7- معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل، وشؤونه الحكيمة، ووزنها بما وهب لحياته من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية، أي يجعلها نماذج مصغرة ووحدة قياسية لمعرفة تلك الصفات المطلقة الجليلة.

8- فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم وإدراك كلماته المعنوية - كل حسب لسانه الخاص - فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعة.

9- إدراك درجة القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والفقر المنطوي في نفسه، إذ كما يدرك أنواع الأطعمة ودرجاتها ولذاتها بدرجات الجوع وبمقدار الاحتياج إليه كذلك عليه فهم درجات القدرة الإلهية وثروتها المطلقتين بعجزه وفقره غير المتناهيين[13].

- فإذا جمعنا طرفي (الصورة) نجد أن الإنسان الضعيف لا يمكنه تحقيق الغايات إلا (بهداية) يتجاوز بها عجزه ويتمكن من خلالها من الوصول إلى هدفه الأسمى وهو (كمال سعادة حياته)، والذي يحدده النُورْسي مخاطبا الإنسان بقوله: "أما (كمال سعادة حياتك) فهو: الشعور بما يتجلى من أنوار التجليات الإلهية في مرآة حياتك وحبها، وإظهار الشوق إليها، وأنت مالك للشعور، ثم الفناء في محبتها، وترسيخ تلك الأنوار المنعكسة وتمكينها من بؤبؤ عين قلبك "[14].

فبلوغ الإنسان هذا المقام العالي، يحتاج إلى من ينير له الطريق ويعرفه مسالكها، ودرجات الرقي فيها، ومن أجل هذا عد النُوْرْسي النبوة (شمسا)، فكانت بذلك ضرورة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، كما لا يمكنه أن يستغني عن النور أو عن مصدره.

2– ظاهرة الوحي :

إن الوحي هو قاعدة النبوة أو الرسالة، إذ عليه ينبني الإيمان بما جاء به الرسول والتصديق بما أخبر عنه من أمور الغيب، ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم في العديد من المواضع على إثبات الوحي باعتباره أمرا خارجا عن ذات الرسول الموحى إليه، فلا مجال إلى خلطه بحديث النفس أو الإلهام كما أكد ذلك أيضا من خلال الرد على المنكرين والمستبعدين لحدوثه.

ففي مجال تأكيد مصدر (الوحي) وكونه مباينا لذات الرسول نجد في القرآن الكريم تكرار ألفاظ:

(أوحينا)[15]، (نوحي)[16]، (أوحى)[17]، (يوحي)[18]، (يوحى)[19]، (نوحيه)[20]، (نوحيها)[21]، (أوحي – بضم الهمزة –)[22]، وكلها تفيد أن الفاعل غير المتلقي.

كما نجد الرد على المنكرين بمثل قوله تعالى معقبا على موقف المشركين من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرْ النَّاسَ**}[23]، إذ الوحي كان دائما يلقى اعتراضا وتشكيكا من الناس، لكن الاعتراض قديما –كما سجل القرآن كان يدور حول السؤال الاستنكاري (**أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً؟**)[24]، " ومبعث هذا السؤال هو عدم إدراك الناس أنفسهم لقيمة (الإنسان) الذي يتمثل فيهم، فهم يستنكرون على بشر أن يكون رسول الله، وأن يتصل الله به عن طريق الوحي، فيكلفه هداية الناس، إنهم ينتظرون أن يرسل الله ملكا أو خلقا آخر أعلى مرتبة من الإنسان عند الله، غير ناظرين إلى تكريم الله لهذا المخلوق ومن تكريمه أن يكون أهلا لحمل رسالته وأن يختار من بين أفراده من يتصل بالله هذا الاتصال الخاص "[25].

أما في العصر الحديث فقد قام التشكيك في الوحي انطلاقا من استبعاد الاتصال بين الإنسان وهو ذو طبيعة مادية، وبين الله المخالف لطبيعة كل شيء مما خلق والذي ليس كمثله شيء.

فأصبحت (ظاهرة الوحي) تشكل – كما يقول بن نبي[26] – أمرا أساسيا في نظر الدراسات النقدية التي تبحث عن تحديد (الظاهرة القرآنية) في علاقتها بـ (الأنا) الواعي لمحمد صلى الله عليه وسلم [27]، وغدا هذا البحث في هذه العلاقة منفذا لإلقاء الشكوك

في إمكانية الوحي تارة أو الخلط بينه وبين الإلهام وحديث النفس وحتى الصرع تارة أخرى[28].

فمن الباحثين نم تناول المسألة انطلاقا من جدلية (الوعي) و (الوحي)، فإذا اعتبرنا – كما يقول – الوعي هو كل ما ينتج عن عقل الإنسان وحواسه اعتبرنا الوحي ما يكون من خارج العقل البشري، فإن ثمة إشكالا سيواجهنا وهو: هل يمكن افتراض وحي داخلي (ذاتي – إجتماعي)، ووحي خارجي (إلهي – ملائكي) إلى العقل البشري المطلق وإلى العقل النبوي بشكل خاص ؟، ثم يجيب " إذا كان هذا الافتراض قائما في شقيه، فإن صراعا سيدور بين نقيضين اعتقاديين ،أولهما: يقول بوحدة الوحي كنشاط من نشاطات وعي الإنسان العالم، بغض النظر عن مصدر الوحي، وثانيهما: يقول بأحدية الوحي (التنزيل) سواء من حيث المصدر (الله)[29] ومن حيث الجهة الموحى إليها (النبي)، وهذا الرأي الثاني هو ما نواجهه في جدلية القرآن، حين نطرح مسألة الصلة بين (التأزيل)، التوحيد المطلق، المنقطع عن كل البشر وبين (التنزيل)، هذا الوحي الخاص المنزل على وعي المصطفى، فكيف يتحول التأزيل إلى تنزيل؟ بعبارة أخرى كيف تقوم صلة بين ما هو مطلق أزلا وأبدا وبين ما هو نسبي زمنا وإدراكا ؟، أي كيف يتصل الإنسان من مقام المجتمع بالله في مقام الغيب؟"[30].

ومن الباحثين من رآها مسألة شائكة وحرجة لا يمكن فهمها في العصر الحديث انطلاقا من التصورات التراثية القديمة، فهي عنده مرتبطة بالاشكالات التي تطرحها اللغة وعليه فـ" فمن الواضح أن أية إعادة تأويل حديثه لمفهوم الوحي تعتمد على الحلول التي يمكن إيجادها للمشاكل الأولية الخاصة بألسنيات ومنطق التسمية في اللغات الطبيعية "[31].

ومن الباحثين من سلك مسلكا آخر في معالجة قضية الوحي، لا بإنكارها صراحة، وإنما بالتركيز على الدور (الذاتي) للنبي والتقليل من شأن الوحي في حياته ورسالته، بحيث تكون (شخصية النبي القيادية) كإنسان هي الخاصية التي يجب إبرازها كأساس ثم الحديث عن نبوته بما تتضمنه من وحي بشكل عرضي، لهذا عندما يوصف النبي صلى الله عليه وسلم يوصف بأنه "هو الأمين الذي دخل القلوب وأثر في العقول، فكان صاحب عهد، وموضع ثقة وشهادة والتزام، والأمانة عنده قضية أخلاقية كبرى، فكأنه اعتبر صدق الرجل فيما يؤتمن عليه ماديا ومعنويا أساس الأخلاق السياسية والدينية، فكانت شخصية محمد القيادية تفرض نفسها بقوة على مجتمع مكة، وتنمو في سياق الصراع الجديد الذي تعهده، إلى أن صار محورا سياسيا ودينيا لكل العرب.

وهو المصطفى الذي اصطفى نفسه حين نـــزهها عن إغـــراءات التجـــارة المكيـــة وكرسها لا كتناه حقائق عصره وتناقضاته الداخلية والخارجية، ثم كان اصطفاء الغيـــب واصطفاء الناس للنبي محمد تتمة لاصطفائه الذاتي الذي ظل يتفاعل ويرتفع حتى بلغ ذروة التحقق التاريخي ذلك أن محمدا الذي تميز بكماله الخلقي وبحزمـــه الســـليم ومهارتـــه القتالية وفطنته البالغة، تميز أيضا بإنجاز مهمة تاريخية كبرى هي مهمة توحيد العرب"[32].

وأمام هذه الشبهة الحديثة اهتم المصلحون بإثبات إمكانية الوحي والرد على القائلين باستحالته.

– فانطلق (محمد عبده) من إعطاء تعريف جديد للوحي[33] بإمكانه – في ظنـــه – أن يقرب الظاهرة من عقل إنسان العصر، فقال: "أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفـــان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغـــير واســـطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت[34] ثم يسترسل في إثبات إمكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) مرجعا ذلك إلى خاصية العقل البشري ذاته، فالعقول متفاوتة يعلوا بعضها بعضا والأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى إلا ما على وجه من الإجمال، وليس هذا التفاوت راجعا لتفاوت في مراتب التعليم فحسب بل أيضا لتفاوت في الفطر التي لا دخل لاختيار الإنسان وكسبه فيها، وكذلك الشأن في تفاوت الهمم، فإذا كان التفاوت في العقول والهمم من قبيل البديهيات عند العقلاء، فمن ضعف العقل والنكـــول عـــن النتيجة اللازمة لمقدماتها "أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها مـــن نقـــاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بـــالأفق الأعلـــى وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلوا وضـــوحا على ما يتلقاه أحدنا على أساتذة التعاليم"، كما أن بعض الخصائص التي كشف عنـــها العلم الحديث في الأنفس والآفاق مما يؤكد إمكانية الوحي[35].

– أما (وحيد الدين خان) فناقش الذين يستبعدون حدوث الوحي بحجة عدم إدراك هذا الاتصال بين (الله) و (الرسول)، انطلاقا من المنجزات العلمية[36] التي توصل إليهـــا الإنسان في العصر الحديث فبين أننا " اليوم نستطيع أن نفهم هذه المسألة بسهولة تامـــة بفضل الحقائق المعلومة.

إن هناك وقائع كثيرة تجري من حولنا في كل لحظة، ونحن نعجز عـــن إدراكهـــا أو سماعها أو الإحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية، وقد استطاع العلم الحديث أن ييســـر لنا إدراكها بفضل الأجهزة العلمية التي اخترعناها، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك.

ومن الأجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حد أنها تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء، ولقد اخترعنا آلات كثيرة أثبتت أنها تستطيع إدراك كثير جدا من الأحداث التي لا يمكننا سماعها بالطرق التقليدية "[37].

كما استند في تقريب إمكانية الوحي إلى قدرة بعض الحيوانات والحشرات على سماع ما لا يقدر الإنسان على سماعه، وكذلك بظاهرة (الإشراق) التي يقف العلم عاجزا عن تفسير حقيقتها ليخلص في النهاية إلى تأكيد "إن الإشراق أمر معروف عند الناس، وهو يدلنا على فهم ذلك النظام الاشراقي العظيم بين الإله والعباد، والذي يكون في أكمل صورة حين يبلغ درجة (الوحي)، وهذا الوحي لا يعدو أن يكون (إشراقا كونيا) من نوع الاشراقات التي عهدناها في حياتنا على مستويات محدودة "[38].

– ولقد كان النُوْرْسي مدركا لهذه الأمور وهو يعرض (ظاهرة الوحي)، فبين إمكانها وحدد الفرق بين الوحي والإلهام في العديد من المواضع.

ففي مقدمة الكلمة الخامسة والعشرين، والتي خصصها للحديث عن المعجزات القرآنية أشار إلى الشبهات المثارة حول القرآن باعتباره وحيا من الله تعالى وبين منهجه في الرد على تلك الشبهات، يقول: "إن كل آية من أكثر الآيات الواردة في هذه الرسالة (المعجزات القرآنية) إما أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين أو أصابها اعتراض أهل العلوم الحديثة أو مستها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهم...

أما الشبهات فقد أجيب عنها أجوبة قاطعة من دون ذكر الشبهة نفسها وذلك لئلا تتدكر الأذهان[39].

– فأما إمكان (الوحي) والرد على شبهة استبعاد الاتصال بين الله (المطلق)، والإنسان (النسبي)، فقد تناولها النُوْرْسي عند الحديث عن إمكان (المعراج).

فهو يحدد (المعراج) بأنه (عبارة عن سير الذات الأحمدية وسلوكه صلى الله عليه وسلم في مراتب الكمالات)[40]، التي تجعله "عبدا جامعا لجميع الكمالات الإنسانية، نائلا لجميع التجليات الإلهية، شاهدا على جميع طبقات الكائنات، داعيا إلى سلطان الربوبية، مبلغا للمرضيات الإلهية كشافا لطلسم الكائنات"[41].

فالمعراج على هذا هو أرقى صور الاتصال بين الله تعالى وبين الرسول المصطفى، فإثباته إثبات لما دونه من الصور[42]، كالاتصال بالوحي عن طريق رسول كما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحالة العادية وبقية الأنبياء، وكالاتصال (بالإلهام) كما يحدث للأولياء والحيوانات والجمادات.

و إنا لنجد المطابقة التامة عند النُوْرْسي بين الحكمة من المعراج والحكمة من بعثة (الأنبياء) في قوله: - بعد أن يتحدث عما بثه الله تعالى من بدائع الصنعة في الكون: "وحيث أنه يريد تعريف نفسه وتحبيبها إلى ذوي الشعور بما أظهره من آثار اللطف والرحمة، وبما بث من بدائع الصنعة فلا شك أنه سيخبر بواسطة مبلغ أمين، ما يريده من ذوي الشعور وبم يرضى عنهم؟ وعليه فيعلن حتما ربوبيته بواسطة من يخصصه من ذوي الشعور.. ويشرف داعيا منهم بقرب حضوره جاعلا منه واسطة إعلان عن مصنوعاته المحبوبة لديه.. وسيعين معلما يظهر كمالاته بتعليم مقاصده العليا إلى سائر ذوي الشعور.. وسيعين مرشدا يدل على مغزى الموجودات كيلا يبقى ما أدرج في هذا الكون من طلسم دون كشف، وما أخفي في هذه الموجودات من شؤون الربوبية دون معنى.. وسيعين رائدا يعلم مقاصده كيلا يبقى عبثا دون نفع. ما أظهره من محاسن الصنعة أو نشره أمام الأنظار..

فمادامت الحقيقة والحكمة تقتضيان هذا، فإن أليق وأجدر من يوفي هذه الوظائف هو محمد صلى الله عليه وسلم فلقد أدى تلك الوظائف بأكمل صورة "[43].

فالمعراج وحي (أرقى) يشرف فيه المصطفى (الرسول، النبي)[44] – زيادة على التكليف بالتبليغ والإرشاد والتعليم- بقرب الحضور، وهو شرف لم ينله من بين الأنبياء إلا الرسول صلى الله عليه وسلم والنُوْرْسي يبرر إمكان الوحي بما سبق بيانه في الفصل السابق، عندما يجعل من حكمة خلق الموجودات إرادة الموجود رؤية جماله وكماله وجلاله من ناحية، وإراءته إلى ذوي الشعور من ناحية أخرى[45].

وهذه (الإراءة) لم يتركها — سبحانه – لشهادة المصنوعات فقط، بل تكلم هو نفسه بكلام أزلي دال عليه[46] بلغه من خلال الارتقاء بعبد من عباده إلى مقام التجرد من الجزئية.

"وحيث أن كل إنسان لا يستطيع أن يرقي إلى أعلى مقام كلي متجردا من الجزئية والسفلية، فلا جرم أن بعضا من أفراد خواص من بين أولئك الناس سيكلف بتلك الوظيفة، ليكون ذا علاقة من جهتين معا، أن يكون إنسانا ليعلم الناس، وفي الوقت نفسه يكون ذا روح في غاية السمو بشرف الخطاب الإلهي مباشرة "[47].

فثبوت الوحي وتحققه من الأمور البديهية — كما يرى النُوْرْسي – يقول: "اعلم أن تحقق حقيقة الوحي وثبوتها وصل إلى درجة البداهة بتواتر مائة ألف نبي[48]، وباتفاق اخباراتها في نقطة المظهرية للوحي الإلهي، وبدلائل معجزات الكتب المقدسة والصحف السماوية التي هي الوحي المشهود، وثمرات الوحي تصديق الأكثرية المطلقة من نوع البشر"[49].

ولكنه مع ذلك يناقش شبهة المستبعدين لإمكان الوحي، سواء كانوا مـــن المـــؤمنين الذين التبس عليهم الأمر، أم من الملحدين المنكرين.

– فللرد على شبهة استبعاد الاتصال بين (المطلق) و (النسبي) يقـــرب المســـألة إلى (الأذهان) بضرب مثالين من الواقع المشاهد، يخاطب بهما المؤمن بوجـــود الله تعـــالى – ولكن ساورته الشكوك – فيكون ذلك من باب الشرح والتفسير لظاهرة (الوحي) ولهذا سنجده ينطلق من كون المخاطب — بفتح الطاء – مسلما بوجود الله تعالى، وهـــذان المثالان هما:

– **المـــثـــال الأول:** أن للسلطان نوعين من المكالمة والمقابلة، وطرازين من الخطاب والكلام والتكريم والالتفات.

– الأول: مكالمة خاصة بوساطة هاتف خاص مع أحد رعاياه من العـــوام، في أمـــر جزئي يعود إلى حاجة خاصة.

– والأخر: مكالمة باسم السلطنة العظمى وبعنوان الخلافة الكبرى وبصفة الحاكميـــة العامة بأمر رفيع كريم يظهر عظمته ويبين هيئته، يقصد منها نشر أوامره الســـلطانية في الآفاق، فهي مكالمة تجري مع أحد مبعوثيه ممن له علاقة بتلك الأمور، أو مع أحد كبار موظفيه ممن له علاقة مع تلك الأوامر.

وهكذا بمثل هذا المثال – والله المثل الأعلى — فإن خلاق الكـــون ومالـــك الملـــك والملكوت والحاكم الأزلي المطلق، له طرازان من المكالمة والالتفات والتكريم

– الأول: جزئي وخاص[50].

– والأخر: كلي وعام.

فالمعراج النبوي مظهر رفيع سام للولاية الأحمدية ظهر بكلية تفوق جميع الولايـــات، وبرفعة وعلو يسمو عليها جميعا، إذ أنه تشرف بمكالمة الله — سبحانه وتعالى – ومناجاته باسم رب العالمين وبعنوان خالق الموجودات"[51].

المـــثـــال الثاني : يتناول فيه النُوْرْسي المسألة من خلال (نظرية التجلي)[52]، فيصوغه بالشكل الآتي :

– إذا كان لدينا رجلان، أحدهما يحمل مرآة ويواجه الشمس بها، والآخـــر يواجـــه الشمس مباشرة فإن الأول يستفيد من ضياء الشمس بقدر ســـعة مرآتـــه واســـتعدادها لالتقاط النور، فعلاقته بالشمس محدودة بنسبة تلك المرآة، واستفادته من الضوء بمقـــدار قابلية المرآة لما تعكسه من نور الشمس وليس بمقدار عظمة الشمس.

بينما الثاني يشاهد هيبة الشمس وعظمتها ويقابلها بالذات دون حجاب ويمكنـــه أن يناجيها ويحاورها، لأن ما يرى هو الضياء الدائم للشمس الحقيقية، بخلاف الرجل الأول الذي لا يستطيع أن يحاور الشمس ويناجيها، لأن آثار ضوئها محـــددة بحـــدود المـــرآة وقيودها ومحصورة بحسب قابلية المرآة واستيعابها للضوء.

"وهكذا يظهر تجلي ذات الله الأحد الصمد – جل جلاله – وهو نور الســـماوات والأرض وسلطان الأزل والأبد على الماهية الإنسانية بصورتين، تتضمنان مراتب لا حد لها.

– الصورة الأولى : ظهور في مرآة القلب برباط رباني وانتساب إليه، بحيث أن لكل إنسان حظه من ذلك النور الأزلي، وله محاورة ومناجاة معه، سواء كانت جزئية أم كلية حسب استعداده ووفق تجليات الأسماء والصفات، وذلك في سيره وسلوكه لدى طيـــه المراتب، فدرجات الغالبية العظمى للولايات السائرة في ظلال الأسماء الحسنى والصفات الجليلة ومراتبها نابعة من هذا القسم.

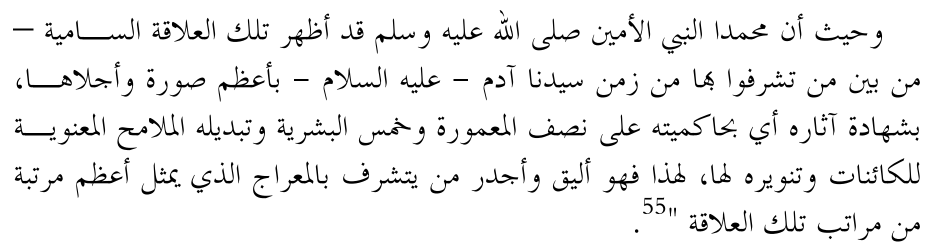
– الصورة الثانية : تجل لله – سبحانه – لأسمى فرد في نوع البشر، وأفضلهم طـــرا، تجليا بذاته – جل وعلا – وبأعظم مرتبة من مراتب أسمائه الحسنى، لكون الإنسان قادرا على إظهار تجليات الأسماء الحسنى المتظاهرة في الوجود كافة دفعة واحدة في مرآة روحه، إذ هو أنور ثمرات شجرة الكائنات وأجمعها من حيث الصفات والستعدادات "[53].

فنلاحظ أن المثالين يخاطب بها النُورْسي – كما قلنا – المؤمن بيد أنه في المثال الأول وجه الخطاب إلى (العقل) باستعمال قياس الغائب على الشاهد، وفي المثال الثاني خاطب (القلب) باستعمال مفهوم التجلي.

– أما حينما خاطب المنكر لوجود الله تعالى فقد انطلق معه من الأساس، وهو إثبات وجود الله تعالى أولا ثم حدثه بعد ذلك عن مسألة (الوحي)، وعلاقـــة الخـــالق بـــالنبي المرسل.

يقول : "والآن نوجه كلامنا إلى ذلك الملحد الجالس في مقام الاستماع[54] فنقـــول: مادام هذا العالم شبيها بمملكة في غاية التناسق، وبقصر في غاية الزينة والجمال، فلا بد أن له حاكما مالكا صانعا.

وحيث أن ذلك المالك الجليل والحاكم الكامل والصانع الجميل موجود، وأن هنـــاك إنسانا ذو نظر كلي وذو علاقة عامة بحواسه ومشاعره مع ذلك العالم، وتلك المملكـــة وذلك القصر، فلا بد أن ذلك الصانع الجليل ستكون له علاقة سامية قوية مـــع هـــذا الإنسان المالك للنظر الكلي والمشاعر العامة، ولاشك أنه سيكون له معه خطاب قدسي وتوجيه علوي.


وحيث أن محمدا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم قد أظهر تلك العلاقة الســامية — من بين من تشرفوا بها من زمن سيدنا آدم – عليه السلام – بأعظم صورة وأجلاهــا، بشهادة آثاره أي بحاكميته على نصف المعمورة وخمس البشرية وتبديله الملامح المعنويــة للكائنات وتنويره لها، لهذا فهو أليق وأجدر من يتشرف بالمعراج الذي يمثل أعظم مرتبة من مراتب تلك العلاقة "[55].

□ وسعيا منه لربط المبحث العقدي بالواقع، فإن النُوْرْسي بعد أن أثبت إمكــان الوحي وأزال شبهة استبعاده، بين – من خلال الحديث عن أثره – أن المؤمن (بالوحي) يستفيد من إيمانه خمس حقائق قدسية هي:

1- زيادة المعرفة بخالقه: إذ يدرك أن الوحي من مقتضيات الربوبية فالذي "أنطــق جميع مخلوقاته ذات الأرواح، ويعلم تكلماتها، فإن تدخله هو نفسه أيضا بتكلمه في تلك التكلمات هو مقتضى الربوبية أيضا".

2- زيادة التعرف على كمالات خالقه: فالله الذي عرف نفسه بــآلاف الألســنة المتمثلة في مصنوعاته المبثوثة في الكون، يزيد من خلال الوحي تعريف نفسه للإنســان بكلماته هو – سبحانه –.

3- زيادة التعرف على علاقة الله بخلقه: فيدرك أن خالقه "كما أنه يقابل بالفعــل مناجاة وشكر الناس الحقيقيين الذين هم أصفى الموجودات وأحوجها وألطفها وأشوقها فإن المقابلة بكلامه أيضا هي من شأن الخالقية ".

4- زيادة استشعار الأنس بالله – تعالى –: إذ من يثبت الوحي يدرك " أن الــذي منح العجز والاشتياق والفقر والاحتياج وفكر الاستقبال، والمحبة والتعبــد، لمخلوقاتــه الفقيرة والعاجزة، والتي هي أشد عشقا وحبا وفكرا، وأحوج إلى نقطة الاستناد، وأشوق إلى اللقاء بصاحبه ومالكه[56]، فإن إشعاره لهم بوجوده، بتكلمه هو مقتضى الألوهية ".

5- زيادة إدراك العلاقة بين صفاته تعالى: فالذي يثبت حقيقة الوحي يــدرك " أن صفة المكالمة هي لازم ضروري وتظاهر نوراني للعلم مع الحياة، توجد في صورة محيطــة وسرمدية، فيمن يملك علما محيطا وحياة سرمدية قطعا "[57].

□ ولما كان الوحي قد يختلط عند البعض (بالإلهام) أو قد يلبس بعض المنكــرين على الناس فيخلطونه بالإلهام، لم يغفل النُوْرْسي مسألة التفريق بين الأمرين.

– فيبين أن نقطة الاشتراك بين (الوحي) و(الإلهام) كونهما من كلمات الله تعالى لكن هذه الكلمات تختلف من حيث القيمة والمرتبة، فيكون القرآن الكريم أعلاها وأعظمها ثم الوحي إلى الأنبياء وهكذا نتدرج نزولا إلى أن نصل إلى الإلهام إلى الجمادات.

يقول النُوْرْسي عند تفسيره لقوله تعالى (**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**) [لقمان: الآيـة 27]: "وهكذا فإن منح القرآن الكريم أعلى مقام من بين كلمات الله جميعا، تلك الكلمـات التي لا تحدها حدود: مرده أن القرآن نـزل من الاسم الأعظم ومن أعظم مراتب كـل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام الله بوصفه رب العالمين، وهو أمـره بوصـفه إلـه الموجودات، وهو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى، وهو سـجل الالتفـات والتكريم الرحماني نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء، وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الإلهية إذ في بدايات بعضها رموز وشفرات، وهو الكتاب المقدس الذي ينشر الحكمة.

ولأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم بما هو أهله ولائق به اسم (كلام الله).

أما سائر الكلمات الإلهية: فإن قسما منها كلام نابع باعتبار خاص، وبعنوان جزئي وبتجل جزئي لاسم خصوصي وربوبية خاصة، وسلطان خاص، ورحمـة خصوصـية، فدرجات هذه الكلمات متفاوتة من حيث الخاص والكلي، فأكثر الإلهامات مـن هـذا القسم إلا أن درجاتها متفاوتة جدا.

فمثلا أن ابسطها وأكثر جزئية هي إلهام الحيوانات ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء ثم إلهام كبار الملائكة "[58].

– أما نقطة الاختلاف بين الوحي وبين الإلهام فيوضحها النُوْرْسي بشكل جلـي في (مجموعة عصا موسى)، ويحصرها في فرقين أساسيين:

– الفرق الأول: أن أكثر الوحي – الذي هو أعلى من الإلهام بكثير – هو بواسـطة الملائكة، وأن أكثر الإلهام بدون واسطة[59]، فكما أن لسلطان مـثلا كلامـا وأوامـر بصورتين:

– إحداهما: أنه يبعث بمستشار له إلى وال، بحيثية حشمة السلطنة والحاكمية العمومية ويفعل أحيانا إحتفالا مع الوسيط، لإظهار أهمية الأمر، واحتشام تلك الحاكمية، ثم يبلغ الأمر.

– الثانية: هي كلامه الخصوصي بهاتفه الخصوصي مع أحد خدامه الخاص، أو مـع أحد رعاياه العامي الذي له مناسبة خصوصية ومعاملة جزئية، لا بعنوان السلطنة وباسم الملكية العامة بل بشخصه هو.

وكذلك فإن للسلطان الأزلي مكالمة باسم جميع العوالم، وبعنوان خالق الكائنـات، بالوحي وبالإلهامات الشاملة التي تؤدي صفة الوحي، كما أن له نوعا من المكالمة بحيثية

كونه ربا وخالقا لكل فرد وكل ذي حياة في صورة خصوصية، ولكن وراء الحجـــاب حسب قابليتهم[60].

وهذا الفرق لاحظه النُوْرْسي في العبارات التي يستعملها النبي (صـــاحب الـــوحي) حينما يخبر عن ربه، وتلك التي يستعملها الولي (صاحب الإلهام) حينما يخبر هو أيضا عن ربه، يقول: "ومن هذا السر – يعني اختلاف الوحي والإلهام من حيث الكلية والجزئية – نرى أن وليا يقول (حدثني قلبي عن ربي) أي: بهاتف قلبه ومن دون وساطة ملك، فهو لا يقول (حدثني رب العالمين) أو نراه يقول (إن قلبي عرش ومرآة عاكسة لتجليات ربي) ولا يقول (عرش رب العالمين) لأنه يمكن أن ينال حظا مـــن الخطـــاب الربـــاني وفـــق استعداداته وحسب درجة قابلياته وبنسبة رفع ما يقارب سبعين ألف حجاب "[61].

"والفرق الثاني: إن الوحي بلا ظل وصاف وخاص بالخواص، أما الإلهام فهو ذو ظل، تخالطه الألوان، وعمومي، وأنه بأنواعه المتنوعة والكثيرة جدا، مثل إلهام الملائكة وإلهـــام الناس وإلهام الحيوانات، يشكل مهدا يكون مدارا لتكثير الكلمات الربانية بقدر قطرات البحار، ويفسر أحد وجوه **آية (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي)**[62] "[63].

فالوحي – انطلاقا من هذا الفرق – لا يمكن أن يختلط مع غيره، بينما لا تتحقق هذه الميزة في الإلهام، فالوحي معصوم بعصمة الله تعالى للمتلقي، أما الإلهام فلا يأمن صـــاحبه غير المعصوم من أن يلتبس بحديث النفس أو وسوسة الشيطان[64].

– ومثلما فعل مع (الوحي) ذكر النُوْرْسي أيضا ما يمكن تلمسه من آثار في (الإلهام)، فبين أن ماهية الإلهام "مع حكمته ونتيجة تتركب من أربعة أنوار" هي:

1– استشعار التحبب (القولي) بعد التحبب (الفعلي) من الخالق تجاه خلقـــه وهـــو المسمى بالتودد الإلهي وهو مقتضى الودودية والرحمانية.

2– استشعار الإستجابة (القولية) لدعوات العباد بعد الإستجابة الفعلية وهي شـــأن الرحيمية.

3– استشعار الإمداد (القولي) لأن الإلهام نوع من المكالمة لتخفيف أثقـــال الحيـــاة، كالإمداد الفعلي وهذا من لوازم الربوبية.

4– استشعار وجوده تعالى وحضوره قولا في وجه مخصوص، خـــالص، نـــاظر إلى مخلوق ما، حسب قابليته، بهاتف قلبه وهو مقتضى شفقة الألوهية ورحمة الربوبية[65].

وبهذا يكون النُوْرْسي قد فصل بين (الوحي) و (الإلهام) من حيث الماهية والآثـــار، وببيان نقاط الاشتراك والاختلاف.

(3) صفــات الأنبيــاء ووظيفتهــم :

أ- صفــات الأنبيــاء :

درج المتحدثون عن النبوة أن يقفوا مع الصفات الواجبة في حق الأنبياء والصــفات المستحيلة عليهم وكذا الممكنة.

فقرروا أنه " يجب للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- أربع صفات وهي: الصــدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

– ومعنى الصدق في حقهم: كون خبرهم مطابقا للواقع ونفس الأمر، فــلا يصــدر منهم كذب أصلا.

– ومعنى الأمانة في حقهم: كون ظواهرهم وبواطنهم محفوظة من الوقوع فيمــا لا يرضى الحق الذي اصطفاهم على سائر الخلق.

– ومعنى التبليغ: كونهم بينوا للناس كل ما أمرهم الله ببيانه أحسن بيان، فلم يكتموا من ذلك شيئا.

– ومعنى الفطانة: كونهم أكمل الخلق في النباهة والفهم "[66].

وأنه يستحيل في حقهم " الكذب والعصيان والكتمان والغفلة، وكذلك يســتحيل عليهم كل صفة تعد عند الناس من العيوب، وإن لم تكن من الذنوب كدناءة الحرفة أو النسب أو تنافي حكمة البعثة كالصمم والبكم "[67].

أما ما يجوز في حقهم من صفات فهو "وقوع الأعراض البشرية التي لا تــؤدي إلى نقص مراتبهم العلية كالأكل والشرب والجوع والعطش وإعتراء الحر والــبرد والتعــب والراحة والمرض والصحة، ومثل ذلك التجارة والاحتراف بحرفة من الحرف التي ليست دنية لأنهم بشر – يجوز عليهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص "[68].

فإذا جئنا إلى النُورْسي ووجدناه يثبت للأنبياء جميع صفات الكمال التي تليق بســمو مكانتهم وشرف رسالتهم، إذ هو يرى – كما سبق أن أشــرنا – بأنــه: " لا يمكــن للألوهية أن تظهر نفسها إلا بإرسال الرسل"[69]، وأن "الألوهية لا تكون بلا رسالة"[70]، ومن هنا يجب أن يتصف الرسول المبلغ – زيادة على الصدق والأمانة والفطانة والتبليــغ – بالصفات التالية:

1- أنه مصطفى ومختار من قبل الله تعالى: فالنبوة لا تكون بالكسب كما زعمــت الفلاسفة[71] وإنما تأتي من بين اختيارات الله تعالى التي خص بها بعض الموجودات.

يقول النُورْسي: " وما دام مالك الملك قد اختار الأرض من الكون واختار الإنسان من الأرض، ووهب له مكانة سامية وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الأنبياء والأصفياء من الناس، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية، وحببوا أنفسهم إليه بالإيمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له وأكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال، وأدب أعدائهم بالصفعات السماوية واصطفى من هؤلاء المحبوبين إمامهم ورمز فخرهم واعتزازهم ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فنور بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية.. "[72].

وقوله في هذا النص (وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية وحببوا أنفسهم إليه بالإيمان والتسليم)، يوحي بأن النُورْسي يرى بأن الاصطفاء للنبوة كأنما هو جزاء على عمل الأنبياء، وهي مسألة وقع فيها الخلاف بين أصحاب المقالات[73].

2- أن للنبي إيمانا راسخا واعتقادا جازما هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين[74]، فإذا عرفنا علم اليقين بأنه (ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه)[75]، وعين اليقين بأنه (ما أعطت المشاهدة والكشف)[76]، يكون إيمان الأنبياء – كما يرى النُورْسي – جامعا لثمرة (العقل) وثمرة (الكشف)، وهو الإيمان الكامل الذي قد لا يجتمع عند الإنسان العادي.

3- أن النبي متصف بالكمال: فلما كانت " النبوة في البشرية فذلكة الخير وخلاصة الكمال وأساسه "[77]. اتصف الأنبياء بكل الخصال الحميدة وحازوا على كل الكمالات المعنوية التي طلب من الناس الإقتداء بهم فيهم[78].

وهذا الكمال هو الذي يجعل الأنبياء مؤهلين ليكونوا واسطة الاتصال بين الله تعالى وخلقه[79].

4- أن النبي معصوم: فكل تصرف بمقتضى النبوة يكون معصوما[80]، يقول النُورْسي مفسرا ما ورد من وعد الله تعالى بالمغفرة للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في آخر (سورة الفتح): "...فكما أن كلمة (مغفرة) تدل على هذا الإيمان اللطيف، كذلك فهي ذات علاقة مع ما في بداية السورة (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)[81]، فالمغفرة هنا ليست مغفرة ذنوب حقيقية لأن في النبوة العصمة فلا ثمة ذنب، وإنما هي بشرى المغفرة بما يناسب مقام النبوة "[82].

5- أن النبي له روح نيرة: فالرسالة تقتضي أن يتميز النبي بخصائص روحية تجعله مؤهلا ليكون مبلغا عن الله تعالى ومن هنا كان الأنبياء أصحاب أرواح نيرة في النوع الإنساني[83].

6- أن النبي تخفف من الأثقال الإنسانية فاكتسب بذلك خصائص روحية مكنته من الارتقاء والسمو في مدارج الكمال، والصعود إلى السماء بإذن إلهي[84].

7- أن النبي يمثل كمال العبودية لله تعالى، إذ هو عبد اصطفاه الله تعالى وعرفه على ذاته العلية وكلفه بمهمة إراءة الكمالات للخلق، فكان بذلك أعرف من كل المخلوقين بخالقه، ومن ثمة أقدرهم على تمثل العبودية الكاملة، وهذا هو حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي بسر عبوديته لخص عبودية جميع أمته بل عبودية الأنبياء الذين سبقوه، يقول النُوْرْسي: " أنظر إلى هذا النبي الكريم إلام يدعو.. إنه يدعو إلى السعادة الأبدية في صلاة كبرى شاملة، وفي عبادة رفيعة مستغرقة، حتى أن الجزيرة العربية، بل الأرض برمتها، كأنها تصلي مع صلاته، وتبتهل إلى الله تعالى بابتهاله الجميل، ذلك لأن عبوديته صلى الله عليه وسلم تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه، كما تتضمن — بسر الموافقة في الأصول – سر العبودية لجميع الأنبياء – عليهم السلام – "[85].

وصفة العبودية المطلقة هذه ملازمة لصفة الرسالة، فوظيفة الرسول —خصوصا محمد – صلى الله عليه وسلم – تقتضي وجودهما في ذاته، إذ إعلان كمالات الله تعالى ووحدانيته لا يكون إلا "بوساطة مبعوث ذي جناحين، أي ذي صفتين: صفة العبودية الكلية، فهو ممثل طبقات المخلوقات عند الحضرة الربانية، وصفة الرسالة والقرب إليه، فهو مرسل من لدنه – سبحانه – "[86].

ب- وظيفة الأنبياء :

انطلاقا من اعتبار النبوة شمسا، فإن النُوْرْسي يعطي الأنبياء مهمة (التنوير)، وهداية الناس إلى ما يحققون به سعادة الدنيا والآخرة، ويمكن – من خلال تتبع نصوص النُوْرْسي – أن نتبين المهام الآتية للأنبياء:

1- هداية الناس في شؤون الدنيا والآخرة: فالأنبياء بعثوا ليقتدي بهم الإنسان لا في أمور الآخرة فحسب، بل أيضا في أمور الدنيا، يقول: " يبين القرآن أن الأنبياء – عليهم السلام – قد بعثوا في مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمة الهدى يقتدى بهم في رقيهم المعنوي، ويبين في الوقت نفسه أن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية ونصبهم روادا للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضا[87]، أي أنه يأمر بالاقتداء بهم واتباعهم إتباعا كاملا في الأمور المادية والمعنوية"[88].

وهذه الهداية تتخذ أشكالا منها:

أ- بيان مصدر الوجود وغايته ومصيره: إذ لا يمكن - كما يقول النُورْسي - "أن لا يبين مالك هذا الكون بوساطة رسول ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المغلق ؟.

وأن لا يجيب بوساطته عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ومن تكون؟ ".

ب- بيان نعم الله تعالى على الإنسان وما يطلبه - سبحانه - إزاءها من عبودية وشكر.

ج- توجيه الأنظار من الكثرة إلى التوحيد[89].

2- إظهار الألوهية: النُورْسي - كما سبق أن رأينا - يجعل من غايات الإنسان التعرف على الله تعالى وصفاته وشؤونه في الكون، وهي غاية لا يمكن للقدرات الإنسانية مجردة الوصول إليها، ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء والرسل لإظهار ما انطوى عليه الكون من دلائل على الألوهية.

يقول: " نعم يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس، مثل هذا الرسول الكريم كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء، لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام ".

فالجمال والجلال والكمال - وهي تجليات الأسماء والصفات كما مر بيانه - لا تظهر إلا بوجود نبي يحبب الخلق فيها، فيكون بمثابة المعرف الحاذق والمعلن الوصاف لها[90].

وخلاصة القول - كما يقرر النُورْسي - أن الحديث عن وظائف النبوة ومهامها يؤكد (أن الألوهية لا تكون بلا رسالة)[91].

3- الإخبار عن الوعد والوعيد: فما دام الإنسان خلق لغاية، فقد بعث الله تعالى الأنبياء بإخبارات فيها وعد لمن تحقق بما طلب منه خالقه، وفيها وعيد لمن خالف وانحرف عن ذلك[92].

4- التعريف بالحياة الأزلية: فبعثة الأنبياء هي النافذة التي تفتح بين عالم الغيب المحجوب وعالم الشهادة والحس، يقول النُورْسي: " مادام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل وأكمل نقش وأجمل صنعه للحي القيوم - جل جلاله- ومادامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كذلك الأنبياء والرسل - عليهم السلام - والكتب المنزلة عليهم، يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهي بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون "[93].

5- بث الحياة في الكون: فلئن عد الإمام محمد عبده (النبوة) في الكـــون بمنـــــزلة العقل في الإنسان[94]، وذلك بالنظر إلى جانب الهداية والإرشاد في وظيفة الـــنبي، فـــإن النُوْرْسي أضاف إلى الهداية معنى الحياة، وأعطى (للنبوة) - خصوصا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكون منـــزلة الروح في الجسد، فغياب النبوة لا يعني وقوع الكون في الضلال فحسب وإنما في الموت أيضا.

يقول: "فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكـــون وتوفيـــت الكائنات، وإذ غاب القرآن وفارق الكون، جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها، وظلت بلا شعور واصطدمت بإحـــدى ســـيارات الفضـــاء، وقامـــت القيامة"[95].

4- المعجـــزة :

الحديث عن المعجزة من المباحث المهمة في باب النبوات، إذ ما من نبي إلا وأيده الله تعالى بما يحمل الناس على تصديقه.

فالمعجزة دليل على النبوة لأن كل دعوى لا تقترن بدليل فهي غير مسموعة، وهـــي الفيصل أيضا بين من يدعي النبوة صادقا وبين من يدعيها كاذبا[96].

ولهذا اهتم العلماء ببيان تعريف المعجزة ووجه دلالتها على النبوة وكذا التمييز بينها وبين ما قد يشتبه عند الناس بها مثل الكرامة والسحر.

يقول الرازي: "المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارض، وإنمـــا قلنا: أمر لأن المعجز قد يكون منعا من المعتاد، وإنما قلنا خارقا للعادة ليتميز به المـــدعي من غيره وإنما قلنا: مقرون بالتحدي لئلا يتخذ الكاذب معجزة من مضى حجة لنفسه، ويتميز عن الإرهاص و الكرامات، وإنما قلنا مع عدم المعارض ليتميـــز عـــن الســـحر والشعبذة "[97].

ولقد أطال النُوْرْسي الوقوف مع المعجزة، فبين حقيقتها، وأعطى لها مفهوما جديدا تجاوز به المفهوم الذي يجعل من معجزات الأنبياء مجرد حوادث تاريخية يؤتى بهـــا علـــى سبيل الحكاية عن أدلة تصديقهم أمام تحديات أقوامهم.

- فمن بين الجوانب التي ناقشها النُوْرْسي في موضوع المعجزة، مسألة مدى قبـــول العقل لانخراق القوانين التي تحكم الطبيعة.

إذ المنكرون للمعجزة يبنون إنكارهم على أساس استحالة كسر (القوانين الطبيعيـــة) وخرقها جاعلين من الارتباط بين الأشياء ارتباطا عقليا ضروريا لا مجرد ارتباط عـــادي يمكن أن يتخلف. فالقول - عندهم - بالمعجزة مما يناقض العقل والحس.

وهذا الإنكار هو الذي جعل بعض المصلحين في العالم الإسلامي يجدون حرجا في إقرار المعجزات النبوية، فراحوا يتجاهلون ما ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم من معجزات مركزين على القرآن الكريم باعتباره المعجزة الخالدة تارة، وتارة أخرى يتكلفون التأويلات البعيدة، كي يجعلوا – على حد زعمهم – المعجزات أمورا ممكنة عقلا[98].

أما النُوْرْسي فلم يجد صعوبة في تقرير عدم مناقضة القول بالمعجزة كما يقرره العقل أو يحكم به الحس، منطلقا في ذلك من فكرة (الإمكان)، فيناقش إمكان المعجزة أو ما شابهها كالكرامة من هذه الزاوية.

يقول: "للإمكان أنواع وأقسام هي: الإمكان العقلي والإمكان العرفي والإمكان العادي. فإن لم تكن الحادثة الواقعة ضمن الإمكان العقلي فإنها ترد وترفض، وإن لم تكن ضمن الإمكان العرفي أيضا فإنها تكون معجزة ولا تكون كرامة بيسر، وإن لم تكن لها نظير عرفا وقاعدة فلا تقبل إلا ببرهان قاطع بدرجة الشهود "[99].

فهو هنا يقرر بشأن المعجزة أمرين أساسيين:

الأول: أن المعجزة تكون ضمن الإمكان العقلي.

الثاني: أن المعجزة لا يشترط فيها أن تكون ضمن الإمكان العرفي، بل هي خارقة له.

واستنادا إلى هاتين القاعدتين ناقش منكري المعجزة ورد على أولئك الذين يحاولون تأويل النصوص لتتفق المعجزات – في زعمهم – مع مقتضيات العقل.

فهو أثناء رده على شخص حاول أن يؤول النصوص القرآنية لينكر معجزة كون سيدنا عيسى – عليه السلام – ولد دون أب، ناقش معه المسألة من الجانب الحسي بأن أحاله إلى إمكان هذه الظاهرة في الطبيعة ومن الجانب العقلي ببيان مفهوم (القوانين الطبيعية) التي يتمسك بها منكر المعجزات.

يقول النُوْرْسي متحدثا عن هذا الشخص: "...وقد شعر الآن في هذه المسألة .. بهجوم الزنادقة العنيف على الأسس الإسلامية، وأظن أنه يحاول فتح طريق للمصالحة والسلام بمثل هذه التأويلات السخيفة التي لا معنى لها[100].

إنه لا والد لعيسى – عليه السلام – كما تبينه يقينا الآية الكريمة (**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**)[101] وأمثالها من النصوص القاطعة، لذا لا يؤبه بكلام من يحاول تغيير هذه الحقيقة الرصينة الراسخة، بل لا يقام لقوله وزن ولا يستحق الاهتمام به أصلا، حيث يعد مخالفة قانون التناسل غير ممكن فيتشبث بتأويلات واهية.

ولا شك أنه لا قانون دون شذوذ منه، ودون نوادر له، ودون أفراد خارجة عنــه، وليست هناك قاعدة كلية لم تخصص بأفراد خارقة.

وأنه لا يمكن ألا يشذ فرد – أي كان – من قانون ولا يخرج منه، منذ زمــن آدم – عليه السلام –

فأولا: أن هذا القانون، قانون التناسل قد خرق باعتبار المبدأ، بمبادئ مائتي نوع من أنواع الحيوانات وختم بها، أي أن آباء تلك الحيوانات الأولين، وهم بمثابة أوادم لها، قد خرقو قانون التناسل، أي أن مائتي ألف أب من أولئك الآباء لم يأتوا إلى الوجود من أب وأم، بل أعطى لهم وجود خارج ذلك القانون.

ثم إننا نشاهد بأبصارنا في كل ربيع، أن القسم الأعظم من مائتي نوع من الكائنات الحية ومما لا تعد ولا تحصى من أفرادها، تخلق خارج ذلك القانون، قانون التناسل، تخلق على وجوه الأوراق وعلى المواد المتعفنة[102].

ترى أن قانونا يخرق بشواذ بهذه الكثرة، في مبدئه، بل في كل سنة، ثم يأتي أحــدهم ولا يتمكن أن يسع عقله شذوذ فرد واحد لذلك القانون خلال ألف وتسعمائة ســنة، فيتشبث بتأويلات تافهة تجاه النصوص القرآنية القاطعة.. أقول ترى كم يكون مرتكبــا حماقة وبلاهة (!) قس بنفسك.

علما[103] أن الأشياء التي يطلق عليها أولئك الشقاة اسم (القوانين الطبيعية) إنما هــي قوانين عادة الله التي هي تجل كلي للأمر الإلهي والإرادة الإلهية، بحيث يغير – ســبحانه تعالى – عاداته تلك لبعض الحكم مظهرا هيمنة إرادته واختياره على كل شيء وعلــى كل قانون، فيخرق العادة في بعض الأفراد الخارقين وقوله تعالى (**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**) يبين هذه الحقيقة "[104].

فهذا النص – وإن كان في سياق مناقشة قضية جزئية يبين نظرة النُورْسي إلى المعجزة وكونها غير مناقضة للعقل بناء على:

1– أن العقل والحس يثبتان أن ما من قانون إلا وله شواذ وما من قاعدة كليــة إلا وتخصص بعض الأفراد الخارقين.

2– أن (قوانين الطبيعة) ما هي إلا (العادة) التي أجراها الله تعالى في الوجود إظهارا لكمال مشيئته وإرادته ،يقول النُورْسي: "إن القدير العليم والصانع الحكيم، يظهر قدرته وحكمته، وعدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله قطعا، بالنظام والتناســق الــذي تظهره عاداته التي هي على صورة القوانين الكونية.. وكذا يظهر – سبحانه – بشــواذ القوانين الكونية وبخوارق عاداته بالتغيرات الظاهرية، وباختلاف الشخصيات، وبتبــدل

زمان الزوال والظهور.. يظهر مشيئته وإرادته وأنه الفاعل المختار، وأن اختياره لا يرضخ لأي قيد كان، ممزقا ستار الرتابة والاطراد فيعلم أن كل شيء، في كل آن، في كل شأن من شؤونه في كل ما يخصه ويعود إليه، محتاج إليه منقاد لربوبيته، وبهذا يشتت الغفلة ويصرف الأنظار، أنظار الجن والإنس من الأسباب إلى مسبب الأسباب "[105].

– ومما ناقشه النُورْسي وأبدع فيه جوانب لم يسبق إليها، مسألة الهدف من المعجزة، ومن ذكر القرآن لمعجزات الأنبياء السابقين.

فهو لم يقف عند القول بأن المعجزة يؤتى بها للدلالة على صدق الرسول فيما يدعيه من إخبار عن الله تعالى كما يذهب إلى ذلك كل من كتب في الموضوع، فيغدو بهذا الحديث عن المعجزات التي ذكرها القرآن بالنسبة للأنبياء السابقين، حديثا (تاريخيا) يسجل ما طواه الزمن من حوادث ولا أثر لها في واقع الإنسان المخاطب بالقرآن ولا في مستقبله.

وإنما – وسعيا منه – لربط مباحث العقيدة بالواقع، أعطى النُورْسي لدلالة المعجزة بعدا آخر فجعل منها إشارة لما يمكن – بل لما يجب – أن يصل إليه العقل البشري من كشف لسنن الله تعالى في الأنفس والآفاق.

فهو لا يرى المعجزة خرقا للعادة فحسب بل هدفا وغاية لما يجب أن يصل إليه الإنسان في الجانب المادي، فهي بهذا لا تعطل الحاضر – حاضر النبي – وليست حديثا عن الماضي بالنسبة للمخاطب بالقرآن وإنما هي استشراف للمستقبل.

ولكي يوضح النُورْسي فكرته هذه عرضها ضمن النقاط التالية:

1– توسيع مفهوم الإقتداء بالأنبياء – عليهم السلام – ليشمل كمالاتهم المعنوية ومعجزاتهم المادية.

2– تعميم مفهوم الإرشاد ليشمل كل آيات القرآن الكريم بما فيها تلك التي تحدثنا عن معجزات الأنبياء فتخرج بذلك عن مجرد السرد التاريخي.

3– عرض نماذج توضيحية لتأكيد هذه الفكرة، من خلال ربط معجزات الأنبياء ببعض ما استطاع الإنسان الوصول إليه.

– يقول شارحا النقطة الأولى: " يبين القرآن الكريم أن الأنبياء – عليهم السلام – قد بعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمة الهدى يقتدي بهم في رقيهم المعنوي، ويبين في الوقت نفسه أن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية، ونصبهم روادا للبشرية وأساتذة لها في تقدمهم المادي أيضا، أي أنه يأمر بالإقتداء بهم واتباعهم إتباعا كاملا في الأمور المادية والمعنوية إذ كما يحض القرآن الكريم الإنسان على الإستزادة من نور

الخصال الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء – عليهم السلام – وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية، فإنه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضا يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليد تلك المعجزات التي في أيديهم ويشير إلى حضه على بلوغ نظائرها، بل يصح القول: أن يد المعجزة هي التي أهدت إلى البشرية الكمال المادي وخوارق لأول مرة، مثلما أهدت إليها الكمال المعنوي "[106].

– ويقول مبينا النقطة الثانية: " ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة قد اتفقوا جميعا أن لكل آية كريمة وجوها عدة للإرشاد، وجهات كثيرة للهداية، فلا يمكن إذا أن تكون أسطع الآيات وهي آيات المعجزات سردا تاريخيا، بل لابد أنها تتضمن أيضا معاني بليغة حجة للإرشاد والهداية.

نعم إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحقق البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله"[107].

– أما في النقطة الثالثة: فهو يسوق نماذج على سبيل التمثيل، وفيما يلي ملخص عن بعضها[108].

(1)– مثلا قوله تعالى (**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر**)[109]: هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان – عليه السلام – وهي تسخير الريح له، أي أنه قد قطع في ما يقطع في شهرين في يوم واحد.

فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء، فيا أيها الإنسان حاول أن تبلغ هذه المرتبة واسع للدنو من هذه المنزلة مادام الطريق ممهدا أمامك.

فكأن الله – سبحانه وتعالى – يقول في معنى الآية الكريمة (إن عبدا من عبادي ترك هوى نفسه فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان إن نبذت كسل النفس وتركته واستفدت جيدا من قوانين سنتي الجارية في الكون يمكنك أيضا أن تمتطي صهوة الهواء ".

(2) ومثلا قوله تعالى (**فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**)[110]:

تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى – عليه السلام – وتشير إلى إمكانية الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بالآت بسيطة، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى :

يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصى، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي ، يمكنك أيضا أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، فهيا اسع لتجد تلك الآية.

فأنت ترى كيف أن هذه الآية سباقة لإيجاد الآلة التي بها يتمكن من استخراج الماء في أغلب الأماكن، والتي هي إحدى وسائل رقي البشرية، بل إن الآية الكريمة قد وضعت الخط النهائي لحدود استخدام تلك الآلة ومنتهى الغاية منها، بمثل ما عينت الآية الأولى أبعد النقاط النهائية وأقصى ما يمكن أن تبلغ إليه الطائرة الحاضرة.

(3) ومثلا قوله تعالى (**وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله**)[111]:

فالآية ترسم أقصى المدى وأبعد الأهداف التي يصبو إليها الطب البشري، وتحث الإنسان على الوصول إليه، فبوسعه أن يجد دواء لكل داء[112] يصيبه فعليه بالسعي والكشف.

(4) ومثلا قوله تعالى (**وألنا له الحديد**)[113]، وقوله تعالى (**وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**)[114]:

هاتان الآيتان تخصان معجزة سيدنا داود – عليه السلام – والآية الكريمة (**وأسلنا له عين القطر**) تخص معجزة سيدنا سليمان – عليه السلام –، فهذه الآيات تشير إلى :

أن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يبين الله به فضل نبي عظيم.

فلتليين الحديد وجعله كالعجين وإذابة النحاس وإيجاد المعادن وكشفها هو أصل جميع الصناعات البشرية وأساسها، وهو أم التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه.

فكأن الله تعالى يخاطب الناس من خلال هذه الآيات: أنه مثلما ألان الحديد وأذاب النحاس لعبد من عباده، فأنتم إن أطعتم أوامري التكوينية توهب لكم أيضا تلك الحكمة والصنعة.

هكذا فإن بلوغ البشرية أقصى أمانيها في الصناعة وكسبها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، إذ هو بتليين الحديد وبإذابة النحاس – القطر –، فهذه الآيات تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين وكسالى الحاضرين إليها، فتنبه أولئك الذين لا يقدرونها حق قدرها.

(5) ومثلا قوله تعالى(**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده**)[115]، فالآية تشير إلى أن إحضار الأشياء من مسافات بعيدة – عينا وصورة – ممكن.

(6) ومثلا قوله تعالى (**قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم**) [الأنبياء: 69]

هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وفيها ثلاث إشارات لطيفة:

– أولها: النار – كسائر الأسباب – ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يفرض عليها، فلم تحرق سيدنا إبراهيم لأنها أمرت بعدم الإحراق.

– ثانيتها: أن للنار درجة تحرق ببرودتها، أي تؤثر كالإحراق، فالله تعالى يخاطب البرودة بلفظه (سالما) بأن لا تحرقي أنت كذلك إبراهيم كما لم تحرقه الحرارة، أي أن النار في تلك الدرجة تؤثر ببرودتها كأنها تحرق، فهي نار وهي برد.

– ثالثتها: مثلما الإيمان الذي هو (مادة معنوية) يمنع مفعول نار جهنم، كذلك هناك (مادة مادية) تمنع تأثير نار الدنيا.

فالآية بقدر ما تحدثنا عن معجزة سيدنا إبراهيم بقدر ما تحثنا على اكتشاف المادة المانعة من الحريق وهو ما توصل إليه الإنسان فعلا.

– نكتفي هنا بهذه الأمثلة، ويمكن الرجوع إلى تفاصيلها مع بقية الأمثلة الأخرى في المقام الثاني من الكلمة العشرين[116].

بهذا يتضح لنا أن النُورْسي بعث الحياة في مفهوم المعجزة، فلم تعد مجرد سرد تاريخي وإنما نوافذ تفتح أمام الإنسان آفاق المستقبل، وهذا الصنيع ينسجم مع فكرة (الحيوية والواقعية) التي حرص على أن يصبغ بها خطابه العقدي.

– وحتى لا تخرج مسألة دلالة المعجزة عن المخترعات الحديثة عن إطارها[117]، من كونها مجرد إشارات تنبه العقل الإنساني إلى صدق القرآن من ناحية، وإلى ما يجب عليه بلوغه من ناحية أخرى – يفترض النُورْسي سؤالين متعلقين بهذا الأمر ويجيب عنها موضحا مكان هذه المسألة من وظيفة القرآن الكريم الأصلية وعلاقتها بوظيفة الإنسان في الحياة.

فأما السؤال الأول فهو: " لما كان القرآن الكريم قد نزل لأجل الإنسان، فلم لم يصرح بما هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة ؟ وإنما يكتفي برمز مستمر وإيماء خفي وإشارة خفيفة وتنبيه ضعيف فحسب ؟

والجواب:

أن خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر من هذا القدر، إذ أن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شئون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها.

لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية وحصتها من تلك الدائرتين مجرد رمز ضعيف وإشارة خفية ليس إلا، فإنها لو ادعت حقوقها من دائرة الربوبية، فعندها لا تحصل إلا على حق ضئيل جدا[118].

وأما السؤال الثاني فهو (لم لم يذكر القرآن الكريم تلك الخوارق وبصراحة تامة كي تجبر الكفرة العنيدين على التصديق والإيمان وتطمئن قلوبنا فتستريح.

والجواب:

إن الدين امتحان، وأن التكاليف الإلهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة، ويتميز بعضها عن بعض في حلبة السباق.

فمثلما يختبر المعدن بالنار ليتميز الألماس من الفحم والذهب من التراب، كذلك التكاليف الإلهية في دار الامتحان هذه، فهي ابتلاء وتجربة وسوق للمسابقة حتى تتميز الجواهر النفسية لمعدن قابليات البشر واستعداداته من المعادن الخسيسة.

فما دام القرآن قد نزل – في دار الإبتلاء هذه – بصورة اختبار للإنسان ليتم تكامله في ميدان المسابقة، فلا بد أنه سيشير – إشارة فحسب – إلى هذه الأمور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع، فاتحا للعقل بابا بمقدار إقامة الحجة، وإلا فلو ذكرها القرآن الكريم صراحة لاختلت حكمة التكليف، إذ تصبح بديهية مثل كتابه (لا إله إلا الله) واضحا بالنجوم على وجه السماء، والذي يجعل الناس – أرادوا ذلك أم لم يريدوا – عندئذ مرغمين على التصديق، فما كانت ثمة مسابقة ولا اختيار ولا تمييز، فحينئذ تتساوى الأرواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كالألماس "[119].

– الولاية والكرامة:

قبل أن ننهي الحديث عن المعجزة لابد وأن تكون لنا وقفة مع مفهومين يكثر ذكرهما – عند النُورْسي – مع (النبوة) و (المعجزة) أعني بذلك (الولاية) و(الكرامة).

ففي العديد من المواضع يحرص النُورْسي على بيان الحد الفاصل بين النبوة والمعجزة من جهة وبين الولاية والكرامة من جهة أخرى، شأنه في ذلك شأن معتدلي الصوفية[120]، فيقرر الأمور التالية:

1– أن رتبة النبوة أسمى وأرفع بكثير من درجة الولاية[121]، فالنبي صاحب وحي والولي صاحب إلهام، وأعظم ولي من الأولياء لا يبلغ أي نبي كان من الأنبياء[122].

2- أن قرب النبوة والرسالة من الله تعالى يختلف عن قرب الولاية: فالولي يحتاج إلى طي المراتب للوصول إلى مقام الولاية، بينما الرسول لا يحتاج إلى ذلك، " الولاية سلوك في مراتب القرب إلى الله، وهي بحاجة إلى زمان وطي مراتب كثيرة، أما الرسالة التي هي أعظم نور فهي متوجهة إلى انكشاف الأقربية الإلهية، الذي تكفيه لحظة خاطفة وآن سيال "[123].

3- يثبت النُوْرْسي الكرامة إنطلاقا من فكرة الإمكان كما فعل مع المعجزة، فيعدها أيضا داخلة ضمن (الإمكان العرفي)، ويعني بذلك أن بعض الكرامات التي ثبتت للأولياء عند التأمل نجدها من قبيل (الممكن عرفا)، بخلاف معجزات الأنبياء التي تقتضي خرق العرف والعادة.

يقول متحدثا عن كرامات البدوي: "... فبناء على هذا، فإن الأحوال الخارقة للعادة المروية عن السيد أحمد البدوي – قدس سره – الذي لم يذق طعاما طوال أربعين يوما، إنما هي ضمن دائرة الإمكان العرفي، وتكون كرامة له، بل ربما هي عادة خارقة له.

نعم! إن روايات متواترة تنتقل عن السيد أحمد البدوي – قدس سره – أنه أثناء استغراقه الروحاني كان يأكل كل أربعين يوما مرة واحدة، فالحادثة وقعت فعلا، ولكن ليست دائما. وإنما حدثت بعض الأحيان من قبيل الكرامة، وهناك احتمال أن حالته الاستغراقية كانت غير محتاجة إلى طعام، لذا أصبحت بالنسبة إليه في حكم العادة.

وقد رويت حوادث كثيرة موثوقة من هذا النوع من الأعمال عن أولياء كثيرين من أمثال السيد البدوي – قدس سره –.

فإذا كان الرزق المدخر يدوم أكثر من أربعين يوما، وان الانقطاع عن الطعام طوال تلك الفترة من الأمور الممكنة عادة، وأنه قد رويت تلك الحالات روايات موثوقة عن أشخاص أفذاذ، فلا بد ألا تنكر قطعا "[124].

فالنُوْرْسي بهذا يقف موقفا وسطا بين مثبتي الكرامة ومنكريها.

– فالذين أثبتوها قالوا بأن الكرامة هي (أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي)[125].

– والذين أنكروها[126] برروا إنكارهم لها بالحرص على عدم الخلط بينها وبين المعجزة.

لكن النُوْرْسي من خلال ما سبق توسط الرأيين:

– فأثبت الكرامة ولكنها لم يعدها خرقا (كاملا) للعادة، بل وإن بدت في ظاهرها خرقا للعادة فهي في دائرة (الإمكان العرفي)، أي هي أمر ممكن عرفا وعادة وليست

خرقا لها كالمعجزة، يقول عن (الحادثة) -: " إن لم تكن ضمن الإمكان العــرفي فإنها تكون معجزة ولا تكون كرامة بيسر "[127].

ومن هنا لا مسوغ لإنكارها بحجة خوف الخلط بينها وبين (المعجزة)، لأن المعجــزة خرق (للإمكان العرفي) أما الكرامة فهي في حدود الإمكان العرفي.

وهو بهذا الموقف جعل العقل مقياسا مادامت (المعجزة) و (الكرامة) كلاهمــا قــد شرطتا بعدم مخالفة (الإمكان العقلي)، فحافظ على مبدأ (معقولية الحقائق الإســلامية) وأغلق أبواب الخرافة التي فتحها المفهوم القديم للكرامة.

- ولا ينسى النُوْرْسي وهو يتناول موضوع الكرامة أن ينبه إلى أن البحث عن ترسيخ الإيمان وزيادة آثاره في واقع الناس أولى من تتبع الأذواق والكرامات لأن "زيادة الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية إنما هو على جانب عظيم من الأهمية فزيادته ولو بمقدار ذرة كنــز عظيم، كما يقول الإمام الرباني أحمد الفاروقي الســرهندي (إن انكشــاف مسألة صغيرة من مسائل الإيمان لهو أفضــل في نظــري مــن مئــات مــن الأذواق والكرامات)"[128].

المبحث الثاني: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

لئن كان الإيمان بالرسل من الأركان التي أفاض النُوْرْسي في الحديث عنها، لأنه يرى بأنه أحد المقاصد الأربعة - مع التوحيد والحشر والعبودية - التي جاء القرآن بتقريرهــا وبيانها[129]، فإنه ركز على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، فتناولها في عدة مواضع، بل وأفردها برسائل خاصة[130]، وناقش من خلالها عدة مسائل.

ونحن في هذا المبحث سنحصر الحديث في ثلاث مسائل هي: بيان علاقة نبوة محمــد صلى الله عليه وسلم بنبوة من سبقه من الأنبياء، الحقيقة المحمدية، دلائل نبوة الرســول صلى الله عليه وسلم.

1- علاقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بنبوة الأنبياء السابقين:

لقد ركز النُوْرْسي في حديثه عن النبوة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفصل القول فيها، لكونه صلى الله عليه وسلم هو صاحب النبوة الخاتمة، والرسالة المتوجهــة للعالمين.

لذا وجدنا النُوْرْسي يعطي في العديد من رسائله (مبررات) تفصيله للرسالة المحمدية، والتي يمكن تلخيصها في العناصر التالية:

1- مكانته بين الموجودات: فهو يصفه بأنه " أعظم آية في كتاب الكـون الكـبير وأعظم اسم في ذلك القرآن الكبير، وبذرة شجرة الكون وأنور ثمارها وشمس قصر هذا العالم، والبدر المنور لعالم الإسلام والدال على سلطان ربوبية الله والكشاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام "[131].

2- مكانته بين الأنبياء: لا يكتفي النُوْرْسي بالاستناد إلى مكانة الرسول صـلى الله عليه وسلم بين الموجودات عامة ليبرز تخصيص رسالته بالشرح والبيان، وإنمـا أيضـا يستند إلى مكانته وعلاقته مع الأنبياء السابقين، والتي يمكن إظهارها من خلال النقـاط التالية:

أ- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأكثر أهلية من بين الأنبياء ليكون حاملا للرسالة الخاتمة، فبعد أن يبين النُوْرْسي وظائف النبوة الخاتمة ومهامها، وهي إظهار وإراءة الجمال الإلهي المطلق، والإجابة الواضحة عن الأسئلة الوجودية المستعصية، يتساءل: "فهل ظهر في العالم من هو أكثر أهلية وأجمع لتلك الأوصاف والوظائف التي ذكرت من محمد صلى الله عليه وسلم؟ أم هناك أحد أليق منه صلى الله عليه وسلم لمنصـب الرسـالة ومهمة التبليغ ؟ وهل أظهر الزمان أحدا أعظم أهلية منه ؟"، ويجيب مؤكدا " كـلا .. فهو إمام جميع المرسلين، وقرة عين كل الأصفياء وسلطان جميع المرشدين وزبـدة كـل المختارين والمقربين"[132].

ب- أن رسالته صلى الله عليه وسلم قد نسخت رسائلهم: إذ هو الوارث المطلـق لأصول أديانهم، من أجل هذا أسرى به الله تعالى إلى المسجد الأقصى الذي هو مجمـع الأنبياء[133].

ج- أن كتابه يتضمن إجمالا جميع كتب الأنبياء المختلفة عصورهم، فهو المسـتحق لأن يوصف بأنه (كلام الله)، وتأتي بعده في المرتبة الكتب المقدسة لسـائر الأنبيـاء – عليهم السلام – وصحفهم[134].

هـ- أنه بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم – عليهم السلام – تصديق متبادل:

فبقدر ما أظهرت معجزاتهم إعجاز القرآن، والقرآن معجزة للرسول صلى الله عليـه وسلم [135] بقدر ما كانت معجزاته صلى الله عليه وسلم حججا ودلائل تشـهد علـى صدق الأنبياء السابقين وتحمل الآخرين على تصديقهم[136].

وبقدر ما صدقوه صلى الله عليه وسلم بالإشارات التي تضمنتها كتبهم[137]، كان هو أيضا مصدقا لهم إذ هو حامل سر إجماعهم وتصديقهم[138]، وهو رئيسهم الذي يزكيهم ويصدقهم بجامعية دينه لأساسات أديانهم[139].

وقد يبدو في هذا التصديق المتبادل الذي يتحدث عنه النُوْرْسي (دور)، إذ يصبح تصديق الأنبياء للرسول متوقفا على تصديقه هو لهم، لكن عند التأمل يتضح لنا ما يعنيه النُوْرْسي بهذه الفكرة، إذ يرى أن المعجزات التي أقامها الأنبياء على صدق نبوتهم وأثبتت صدقهم أثبتت بشكل غير مباشر بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم بشروا به في كتبهم.

وكذلك الشأن لما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدلائل التي أثبتت صدقه فقد أثبت بشكل غير مباشر صدق نبوة الأنبياء، ما دام قد أخبر عنهم في كتابه.

وعليه فإنكار نبوة أي نبي من الأنبياء هو إنكار لنبوة الباقي[140].

2- الحقيقة المحمدية:

لمفهوم (الحقيقة المحمدية) مكانة مهمة لدى الصوفية، خصوصا عند الذين اهتموا منهم ببيان حقائق الموجودات ومراتبها وعلاقة بعضها ببعض، إذ – كما يؤكد ابن خلدون – لما اهتم متأخرو القوم بالكشف " تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية، وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك"[141]، فكان أن تطرقوا إلى بيان (الحقيقة المحمدية) واعتبروها ممثلة لحقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين والكمل من أهل الملة المحمدية[142].

والنُوْرْسي – متأثرا بصوفيته – تحدث عن (الحقيقة المحمدية) أثناء تناوله لشخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبيان علاقته بالموجودات، فأقترب –كما سنرى – في العديد من المواضع من أراء كبار الصوفية التي لا يمكن تعليلها بالنظر العقلي، كما يصعب التوفيق بينهما وبين ظواهر النصوص الشرعية، ولعلنا لا نملك أمامها إلا أن نقول كما قال ابن خلدون عنها: " وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا وقبولا إذ هي من قبيل الوجدانيات "[143].

وآثرنا قبل التطرق لأراء النُوْرْسي في المسألة، أن نشير إليها — ولو بشكل موجز — عند غيره من الصوفية من باب المقارنة وإيضاح أصول بعض الأفكار الواردة عنده وكذا مدلولات بعض مصطلحاته.

فإذا جئنا إلى تعريف هذا المصطلح نجده مجملا عند صاحب (التعريفات) كما يلي: "الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول وهو الاسم الأعظم"[144].

أما عند السرهندي – أستاذ النُوْرْسي الروحي – فهي: "ظهور أول وحقيقة الحقائق، بمعنى أن سائر الحقائق، سواء كانت حقائق الأنبياء الكرام أو حقائق الملائكة العظام – عليهم الصلاة والسلام – كالظلال لها، وأنها أصل جميع الحقائق، قال عليه الصلاة

والسلام (أول ما خلق الله نوري)[145] وقال عليه الصلاة والسلام (خلقت من نـــور الله والمؤمنون من نوري)[146]، فبالضرورة تكون تلك الحقيقة بين سائر الحقائق وبين الحق – جلا وعلا –، ويكون وصول أحد بلا توسطه – عليه وعلى آله الصـــلاة والســـلام – محالا، فهو نبي الأنبياء والمرسلين، وإرساله رحمة للعالمين، ومن ههنا يتمنى الأنبياء أولـــو العزم مع وجود الأصالة فيهم – تبعيته والدخول في عداد أمته كما ورد عنـــه – عليـــه وعليهم الصلاة والسلام–"[147].

أما الأمير عبد القادر فقد تطرق هو أيضا إلى المسألة في العديد من (المواقـــف)[148]، لكنه أجمل الحديث عنها في (الموقف التاسع والثمـــانين)، فشـــرح مفهومهـــا عنـــده والمصطلحات التي يستعملها القوم للدلالة عليها.

يقول في تفسير قوله تعالى (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) [الأنبياء: 107]: "اعلم أنه ليس المراد من إرساله رحمة للعالمين هو إرساله من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط، وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم، فإنه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين، فإن العالم اسم لما سوى الحق تعالى بل المراد إرساله من حيث حقيقته التي هـــي حقيقة الحقائق، ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح، فإن حقيقته صلى الله عليـــه وسلم هي الرحمة التي وسعت كل شيء ، وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة، وهذه الرحمة هي أول شـــيء فتـــق ظلمة العدم وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة، وهي الوجود المفاض على أعيـــان المكونات، وقد ورد في الخبر (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر).

ولهذه الحقيقة المحمدية أسماء كثيرة، باعتبار كثرة وجوهها واعتباراتها، وأذكر طرفـــا منها ليكون نموذجا لما لم أذكر، فإن كثيرا من الناس الذين يطالعون كتـــب القـــوم — رضوان الله عليهم – حين يرون هذه الأسماء الكثيرة يظنون أنها أسماء لمسميات متعددة، وليس الأمر كذلك، وإنما هي مثل: السيف والصارم والقضيب والهنـــدواني والأبـــيض والصقيل والمحدد ونحو ذلك والمسمى واحد.

منها: التعين الأول للحق تعالى ولذا قيل في حق الحقيقة المحمدية: أنها الذات مع التعين الأول، ومنها القلم الأعلى، ومنها أمر الله ، ومنها العقل الأول، ومنها سدرة المنتـــهى، ومنها الحد الفاصل، ومنها مرتبة صورة الحق والإنسان الكامل بلا تعدد، ومنها القلـــب ومنها الكتاب المسطور ومنها روح القدس، ومنها الروح الأعظم، ومنها التجلي الثاني، ومنها حقيقة الحقائق ومنها العما ،ومنها الروح الكلي، ومنها الإنسان الكامل، ومنـــها الإمام المبين، ومنها العرش الذي استوى عليه الرحمن، ومنها مرآة الحق، ومنـــها المـــادة

الأولى، ومنها المعلم الأول، ومنها نفس الرحمن – بفتح الفاء – ومنها الفيض الأول، ومنها الدرة البيضاء، ومنها البرزخ الجامع، ومنها واسطة الفيض والمدد، ومنها حضرة الجمع، ومنها الوصل، ومنها مجمع البحرين، ومنها مرآة الكون، ومنها مركز الدائرة، ومنها الوجود الساري، ومنها نور الأنوار، ومنها الظل الأول، ومنها الحياة السارية في كل موجود، ومنها حضرة الأسماء والصفات ومنها الحق المخلوق به كل شيء، إلى غير ذلك مما يطول ذكره "[149].

وبعد أن يسهب الأمير في شرح وبيان هذه الإطلاقات كلها[150]، يخلص إلى القول: "ويكفي هذا القدر من ذكر أسماء هذه الحقيقة المحمدية لمن فهم، فإنها بحر لا ساحل له، ولذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم (لا يعلم حقيقتي غير ربي)[151]، وقال العارف الكبير: أعجز الخلائق فلم يدركه منا سابق ولا حق، يعني العلم بحقيقته "[152].

– فإذا عدنا إلى النُورْسي وجدناه يستعمل المصطلحات ذاتها، ويتبنى الآراء نفسها حول الحقيقة المحمدية، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذو حقيقة تتميز بالصفات والخصائص التالية:

(1) فهو نور العالم وروحه: فشخصيته المعنوية لا تكتفي بأن تمنح الكون النور بهداية النبوة وإنما تمنحه الحياة والجمال وتثبت في أرجائه الحركة أيضا.

يقول في (المثنوي): "اعلم أنه بينما ترى العالم يلبس صورة الشجرة ترى نوره – عليه الصلاة والسلام – نواتها أولا وثمرتها ثانيا.. وبينما ترى العالم جسما ترى نوره – عليه الصلاة والسلام – روحه.. وبينما ترى العالم حديقة مزهرة ترى نوره – عليه الصلاة والسلام – عندليبه.. وبينما ترى العالم قصرا عاليا تغمره شعاعات سلطنة الأزل وخوارق حشمته، ومحاسن تجليات جماله ونقوش خوارق صنعته.. إذ ترى نوره – عليه الصلاة والسلام – نظارا كشافا يرى لنفسه أولا ثم ينادي: أيها الناس تعالوا إلى هذه المظاهر النـزيهة، وهلموا على ما لكم فيها من روائع الجمال وآيات الحسن والكمال.

ثم يتقدمهم مرشدا ويريها للناس ويشاهد ويشهد لهم.. يدهش ويثير دهشتهم.. يحب ويحبب مالكه إليهم.. يستضيء ويضيء لهم.. يستفيض ويفيض عليهم "[153].

فالعلاقة بين الكون والذات المحمدية – سواء نظرنا إلى هذه الذات من جانب الشخصية المعنوية والمادية أم من جانب الرسالة – هي كعلاقة الكائن الحي بالروح التي تمنحه الحياة والعقل الذي يمنحه الهداية إذ " الحياة المحمدية — المادية والمعنوية – مترشحة من الحياة ومن الكون، فهي خلاصة زبدتها،والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس الكون وشعوره وعقله، فهي أصفى خلاصته، بل إن حياة محمد صلى الله عليه وسلم المادية والمعنوية، بشهادة آثارها حياة لحياة الكون، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون

ونور له، والوحي القرآني بشهادة حقائقه الحيوية — روح لحياة الكون وعقل لشعوره.. أجل.. أجل.. أجل.

فإذا فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها وزال عقلها، وظلت دون شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء وقامت القيامة "[154].

(2) هو أصل الكائنات ونتيجتها[155]: أو هو نواة شجرة الموجودات وثمرتها، فالنُوْرْسي ينظر إلى الموجودات وإلى العلاقة بينها كنظرته إلى الشجرة وتكامل أجزائها، بدء بالنواة (البذرة) ومرورا بالجذع والأغصان والأوراق وانتهاء بالثمرة، فيجعل انطلاقا من هذا — الرسول صلى الله عليه وسلم بذرة الكائنات ونواتها وهو في الوقت ذاته ثمرتها!

والنُوْرْسي أدرك أن تصور هذه (الحقيقة) أمر صعب إذا نظرنا إليها بموازين العقل فاستعان – في بيانها – بضرب مثال حسي لتقريبها إلى الإفهام.

يقول – مخاطبا من استشكل هذه الحقيقة–: "إن هذه الحقيقة التي إستشكلتها هي عميقة الغور في ذاتها، وهي عالية سامية إلى حد لا يبلغها العقل بل لا يقترب منها، ومع هذا فإنها ترى بنور الإيمان[156].

ونحن سنحاول أن نقرب إلى الأفهام شيئا من تلك الحقيقية العالية ببعض الأمثلة التي تساعد على ذلك، وهي على النحو الآتي:

– إذا ما نظر إلى هذه الكائنات نظر الحكمة بدت كأنها شجرة عظيمة وفي معناها، فكما أن الشجرة لها أغصان وأوراق وأزاهير وثمرات، ففي العالم السفلي الذي هو شق من شجرة الخلقة نشاهد أيضا أن العناصر بمثابة أغصانه، والنباتات والأشجار في حكم أوراقه، والحيوانات كأنها أزاهيره والأناسي كأنها ثمراته.

فالقانون الإلهي الجاري على الأشجار يلزم أن يكون جاريا أيضا على هذه الشجرة العظمى، وذلك بمقتضى اسم الله (الحكيم)، لذا فمن مقتضى الحكمة أن تكون شجرة الخلقة هذه ناشئة أيضا من نواة، وأن تكون النواة جامعة على نماذج وأسس سائر العوالم فضلا عن احتوائه[157] على العالم الجسماني، لأن النواة الأصلية للكائنات المتضمنة لألوف العوالم ومنشأها لا يمكن أن تكون مادة جامدة قط.

وحيث أنه ليست هناك شجرة من غير نوع شجرة الكائنات قد سبقتها، فإن المعنى والنور الذي هو في حكم المنشأ والنواة قد يتجسد بثمرة في شجرة الكائنات وألبس ملابس الثمرة، وذلك لأن النواة لا تكون مجردة عارية دائما، إذ ما دامت لم تلبس لباس الثمرة في أول الفطرة فتلبسها في الأخير.

ومادام الإنسان هو تلك الثمرة، وأفضل ثمرات نوع البشـــر وأنوارهـــا وأحســـنها وأعظمها وأشرفها وألطفها وأجملها وأنفعها هو محمد صلى الله عليه وسلم، – كمـــا أثبت سابقا – الذي جلب نظر عموم المخلوقات بفضائله، وحصر نظر نصـــف الأرض وخمس البشرية في ذاته المباركة واستقطب أنظار العالمين إلى محاســـنه المعنويـــة بالمحبـــة والتبجيل والإعجاب.. فلابد أن النور الذي هو نواة تشكل الكائنات سيتجسد في ذاته صلى الله عليه وسلم وسيظهر بصورة ثمرة الختام "[158].

وهو بعد هذا البيان يفترض أن المستمع يعترض عليه قائلا: (كيف يكون ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم نواة هذه الكائنات؟ حيث تقولون: أن الكائنات قد خلقت من نوره، وفي الوقت نفسه هو آخر ثمرة من ثمراتها وأنوارها ؟)[159].

فيكون الجواب: " أيها المستمع لا تستبعد خلق هذه الكائنات البديعة العظيمة مـــن ماهية جزئية لإنسان، فإن القدير ذا الجلال الذي يخلق شجرة صنوبر ضخمة، وكأنهـــا عالم بذاته، من نواة صغيرة لها، كيف لا يخلق، أو يعجز عن خلق الكائنات من نور محمد صلى الله عليه وسلم ؟[160]

نعم إن شجرة الكائنات شبيهة بشجرة طوبى الجنة، جذعها وجذورها متوغلـــة في العالم العلوي، وأغصانها وثمراتها متدلية إلى العالم السفلي، لذا فإن هناك خيطا ذا علاقـــة نورانية ابتداء من مقام الثمرة في الأسفل إلى مقام النواة الأصلية، فالمعراج النبوي صورة وغلاف لخيط العلاقة النورانية ذاك "[161].

ونحن إذ ننظر إلى هذا الجواب الذي يقدمه النُوْرْسي نلاحظ أن المسألة ليست متعلقة بقدرة الله تعالى إذ السائل – سواء كان حقيقيا أم مفترضا – لم يستشكل الأمر من باب هل الله تعالى قادر على خلق الكائنات من ماهية جزئية هي ماهية الرسول صـــلى الله عليه وسلم ثم يجعله في الوقت نفسه ثمرة لها ؟

لأن أي مؤمن مقتنع بأن قدرة الله تعالى مطلقة لا حد لها، وإنما الإشكال يطرح من باب الأدلة الشرعية التي تبرر القول بهذا الرأي، لأن النُوْرْسي – وإن لم يصرح بذلك – يبدو أنه استند إلى الأحاديث ذاتها التي اعتمد عليها أستاذه السرهندي وغيره من الصوفية في هذه المسألة، كزعمهم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (خلقت من نور الله والمؤمنـــون من نوري)، وهو ما لم يجب عنه النُوْرْسي، وقصارى ما يبررون به رأيهم، القول بأنه من باب الوجدانيات التي لا يدرك العقل حقيقتها وإنما السبيل إليها إنما هو (الذوق) أو نور الإيمان.

(3) وهو الإنسان الكامل الذي كان سببا لخلق الأفلاك[162]، بل من أجله أوجد الخالق هذا العالم بما فيه فهو " مدار ظهور مقاصد خالق الكائنات في خلق الموجودات، وواسطة تظاهر كمالات الكائنات، المرمز بشخصيته المعنوية إلى أنه نصب عين فاطر الكون في خلق الكائنات، يعني أن الصانع نظر إليه وخلق لأجله ولأمثاله هذا العالم"[163].

بل النُورْسي يرفع الرسول صلى الله عليه وسلم من مرتبة (الإنسان الكامل)[164] التي يصفه بها الصوفية إلى مرتبة (الإنسان الأكمل)، فيقول عنه بأنه: "هو الإنسان الأكمل والدليل الأعظم على الله تعالى وقد أظهر جمع ما بيناه من كمالات الإنسان وقيمته ومهمته ومثله[165]، فأظهر تلك الكمالات في نفسه، وفي دينه بأوضح صورة وأكملها، مما يدلنا على أن الكائنات مثلما خلقت لأجل الإنسان، أي أنه المقصود الأعظم من خلقها والمنتخب منها، فإن أجل مقصود من خلق الإنسان أيضا وأفضل مصطفى منه، بل أروع وأسطع مرآة للأحد الصمد إنما هو محمد عليه وعلى آله وأصحابه – الصلاة والسلام – بعدد حسنات أمته"[166].

(4) هو الذي حظي بالاسم الأعظم، ونال جميع تجليات الأسماء الحسنى : فلئن كانت الموجودات – كما سبق أن رأينا في الفصل السابق – هي ظلال لتجليات أسماء الله تعالى وصفاته فالنُورْسي يرى بأن كل موجود ينال حظه من التجلي بقدر استعداده[167].

ومن هذه الحيثية تفاوتت مقامات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فعيسى عليه السلام مثلا في مقام تجلي اسم (القدير)، وموسى – عليه السلام – في مقام تجلي اسم (المتكلم)... وهكذا[168].

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلأنه قد حظي بالاسم الأعظم، ولأن نبوته عامة وشاملة، وقد نال جميع تجليات الأسماء الحسنى، كان له المقام الأعلى والمتمثل في العلاقة مع جميع دوائر الربوبية، ويجد النُورْسي في الإشارات التي تضمنتها حادثة الإسراء والمعراج (الالتقاء بالأنبياء والمرور ببعضهم كل في السماء المخصصة له) دليلا على ما يقول[169].

وهاهنا نجد تقاربا بينه وبين الجيلي الذي يرى بأن الكمال الإلهي لا يظهر في الكون إلا في صورة (الإنسان الكامل)[170].

(5) هو الذي جمع في ماهيته العبودية الكلية والرسالة، إن جمال الله تعالى وكماله المطلقين لا يمكن أن يظهرا في الكون إلا من خلال مبعوث مؤهل لذلك، أي حائز على الاستعداد الذي يمكنه من رؤية الكمال الإلهي وإراءته للموجودات، وهذا لا يتحقق إلا

بمبعوث ذي جناحين " أي ذي صفتين: صفة العبودية الكليـــة، فهـــو يمثـــل طبقـــات المخلوقات عند الحضرة الربانية، وصفة الرسالة والقرب إليه فهو مرسل مـــن لدنـــه – سبحانه – إلى العالمين كافة ".

وليس بين الموجودات بل بين الأنبياء من هو أكثر أهلية لهذا المقام من محمد صـــلى الله عليه وسلم الذي هو " إمام جميع المرسلين وقرة عين كل الأصفياء وسلطان جميـــع المرشدين وزبدة كل المختارين والمقربين "[171].

وبهذا أكمل فيه تعالى الجانبين، فكانت عبوديته صلى الله عليه وسلم كاملة ورسالته شاملة، وقد اتضح ذلك جليا من خلال حادثة المعراج حيث " عرج به إلى مقام (قـــاب قوسين) فشرفه بالأحدية ،بكلامه وبرؤيته، ليجعل ذلك العبد عبـــدا جامعـــا لجميـــع الكمالات الإنسانية نائلا جميع التجليات الإلهية، شاهدا على جميع طبقات الكائنـــات، داعيا إلى سلطان الربوبية مبلغا للمرضيات الإلهية، كشافا لطلسم الكائنات"[172].

ومن أجل هذا بلغ من المقامات ما لم يبلغه أي نبي أو ولي، يقول النُوْرْسي: "فـــلأن أفضل من بلغ مقاصد رب العالمين من بين البشر وكشف طلسمها وحل لغـــز الخلـــق، وأكمل من دعا إلى عظمة محاسن الربوبية هو محمد صلى الله عليه وسلم، فلا ريب أن سيكون له من بين البشر سير وسلوك معنوي سام بحيث يكون له معراجا في صورة سير وسياحة في العالم الجسماني، وسيقطع المراتب إلى ما وراء طبقات الموجودات وبـــرزخ الأسماء وتجلي الصفات والأفعال المعبر عنها بسبعين ألف حجاب "[173].

ومثلما تكاملت (العبودية) و(الرسالة) في الذات المحمدية تكاملت فيها أيضا (الولاية) و(الرسالة) إذ محمد صلى الله عليه وسلم كما يرى النُوْرْسي – طوى تحـــت جناحـــه جميع الأولياء كما تقدم جميع الأنبياء، فولايته مهيمنة على جميع الولايـــات، ورســـالته متضمنة لجميع الرسالات، وهذا المعنى يظهر من الإشارات التي تلوح من خلال معجزة المعراج، حيث يرى النُوْرْسي أن المعراج هو نقطة الارتقاء من مقام الولايـــة إلى مقـــام الرسالة.

يقول: " أما المعراج فلأنه كرامة كبرى للولاية الأحمدية ومرتبتها العليا، فقد ارتقت وانقلبت إلى مرتبة الرسالة.

فباطن المعراج ولاية، إذ عرج من الخلق إلى الحق – سبحانه وتعالى–.

وظاهر المعراج رسالة، إذ يأتي من الحق – سبحانه وتعالى – إلى الخلق أجمعين.

فالولاية سلوك في مراتب القرب إلى الله ،وهي بحاجة إلى زمان وإلى طـــي مراتـــب كثيرة، أما الرسالة – التي هي أعظم نور – فهي متوجهة إلى انكشاف ســـر الأقربيـــة الإلهية، الذي يكفيه لحظة خاطفة وآن سيال "[174].

إن التحديدات السابقة للذات المحمدية يبدو أن النُوْرْسي قد كتبـــها بلســـان (الحقيقة)، ولذلك اقترب فيها من مفاهيم الصـــوفية، واســـتعمل لبيانهـــا إطلاقـــاتهم ومصطلحاتهم، ولكنه لم يقف عند هذا الحد، وإنما تطرق أيضا (للحقيقة المحمدية) بلسان (الشريعة)، مركزا على واجب المسلم تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، فبين " إن اتباع السنة الشريفة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقود إلى الانضواء تحـــت لواء شفاعته والاقتباس من أنواره والنجاة من ظلمات البرزخ "[175].

فلكأنه – بدافع من حيوية خطابه العقدي وواقعيته – أدرك أن الصـــورة الصـــوفية للذات المحمدية لا يمكن أن ينتفع بها حقيقة إلا الخاصة، فسعى لتناول تلك الذات مـــن زاوية الشريعة التي لابد وأن يظهر أثرها في ضبط سلوك الفرد في الحياة.

من أجل هذا خصص رسالة كاملة أسماها (مرقاة السنة وترياق البدعة)[176]، انطلـــق فيها من ثلاث آيات، كل واحدة منهن تبين جانبا من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وهذه الآيات هي:

– قوله تعالى {**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**} [التوبة: الآية 128].

– وقوله تعالى {**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُـــوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**} [سورة التوبة: الآية 129].

– وقوله تعالى {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللهُ**}[177].

فبين من خلال تحليله لها، أنه: كما أن (الحقيقة) ترشدنا إلى تنور الكون وحياته بـــل وخروجه من العدم إلى الوجود إنما كان بفضل (الذات المحمدية)، فإن (الشريعة) ترشدنا إلى أن حب الله تعالى ورحمته لا ينالهما العبد إلا ببركة اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذا الموصوف بأنه رؤوف رحيم وبأنه حبيب رب العالمين.

يقول النُوْرْسي: " أن محبة الله تستلزم إتباع السنة الطاهرة لمحمد صـــلى الله عليـــه وسلم، لأن حب الله هو العمل بمرضياته ،وأن مرضياته تتجلى بأفضل صـــورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم

والتشبه بذاته المباركة في الحركات والأفعال يأتي من جهتين:

– إحداهما: جهة حب الله –سبحانه– وإطاعة أوامره، والحركة ضمن دائرة مرضياته، هذه الجهة تقتضي ذلك الإتباع، حيث أن أكمل إمام وأمثل قدوة في هذا الأمر هو محمد صلى الله عليه وسلم

– ثانيهما: جهة (ذاته المباركة) صلى الله عليه وسلم التي هي أسمى وسيلة للإحسان الإلهي غير المحدود للبشرية، فهي إذا أهل لمحبة غير محدودة لأجل الله وفي سبيله.

والإنسان يرغب فطرة في التشبه بالمحبوب ما أمكن، ولذا فالذين يسعون في سبيل حب (حبيب الله) عليهم أن يبذلوا جهدهم للتشبه به باتباع سنته الشريفة "[178].

فالنُوْرْسي في هذا المقام يركز على الجانب العملي الذي يستفيد منه (العامة) قبل (الخاصة) فهو يشرح مدلول الآيات المشار إليها سابقا شرحا واضحا بعيدا عن المصطلحات الصوفية التي رأيناه يستعملها حينما تحدث عن (الحقيقة المحمدية) بلسان القوم.

فهو هنا يؤكد بوضوح: " بما أن أحدا لا يمكنه أن يكون أهلا لمحبته – سبحانه– إلا باتباع السنة الأحمدية كما نص عليه كلامه العزيز، إذن فاتباع السنة المحمدية هو أعظم مقصد إنساني وأهم وظيفة بشرية "[179].

ويخلص إلى القول : " فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب من هذا الإتباع للسنة الشريفة، ومن لم يتبع السنة فهو في خسران مبين إن كان متكاسلا عنها.. وفي جناية كبرى أن كان غير مكترث بها.. وفي ضلالة عظيمة إن كان منتقدا لها بما يومئ التكذيب بها "[180].

– وحينما يقترب أكثر من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحدثنا عنه باعتباره النور الذي كان مصدر الموجودات ولا عن ذاته التي كانت نواة العالم وثمرته وغير هذا من المفاهيم التي – كما أكد هو من قبل – يصعب على العقل تقبلها، وإنما يحدثنا عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ما جاءت به الآيات القرآنية، مركزا على الجانب العملي، حاثا على الإقتداء به، منكرا على من ترك سنته، فجاء بيانه واضحا منسجما مع النصوص الشرعية سهلا على العقل تقبله.

– ولهذا وجدناه يعود إلى القرآن الكريم[181] للحديث عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ويختار منها ماله علاقة بالعمل والإقتداء، يقول: " لقد وصف الله – سبحانه وتعالى – الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الحكيم بقوله (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[182].. ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون من أفعال هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله، وكل حركة من حركاته نموذج إقتداء للبشرية، فما

اتعس أولئك المؤمنين من أمته الذين غفلوا عن سنته صلى الله عليه وسلم ممن لا يبالون بها أو يريدون تغييرها، فما أتعسهم وما أشقاهم "[183].

– ووجدناه أيضا حينما يتحدث عن كمال شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدخل بنا في متاهات مفهوم (الإنسان الكامل) ذات البعد التجريدي، وإنما يوجهنا من خلال كمال الذات المحمدية إلى قضية واقعية عملية، كلما غفل عنها المسلمون ابتعدوا عن حقيقة دينهم أعني بذلك (الوسطية)، والتي هي نتيجة الاعتدال والاستقامة.

يقول : " لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خلق في أفضل وضع وأعدله وفي أكمل صورة وأتمها فحركاته وسكناته قد سارت على وفق الاعتدال والاستقامة، وسيرته الشريفة تبين هذا بيانا قاطعا وبوضوح تام، بأنه قد مضى وفق الاعتدال والاستقامة في كل حركة من حركاته متجنبا الإفراط والتفريط.

نعم لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتثل امتثالا كاملا قوله تعالى {**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**}[184] فالاستقامة تظهر في جميع أفعاله وأقواله وأحواله ظهورا لا لبس فيه.

فمثلا: أن قواه العقلية قد سارت دائما ضمن الحكمة التي هي محور الاستقامة والحد الوسط مبرأة عما يفسدها ويكبتها من إفراط أو تفريط أي الغباء والخب.

وأن قواه الغضبية قد سارت دائما ضمن الشجاعة السامية التي هي محور الاستقامة والحد الوسط، منـزهه عما يفسدها من إفراط أو تفريط أي الجبن والتهور.

وأن قوته الشهوية قد اتخذت محور الاستقامة دائما في العفة، واستقامت عليها بأسمى درجات العظمة، فصفت من فساد تلك القوة من إفراط وتفريط أي الخمود والفجور.

وهكذا فإنه صلى الله عليه وسلم قد اختار حد الاستقامة في جميع سننه الشريفة الطاهرة وفي جميع أحواله الفطرية وفي جميع أحكامه الشرعية، وتجنب كليا من الظلم والظلمات أي الإفراط والتفريط "[185].

– وهكذا يتضح لنا جليا أن النُورْسي تناول (الحقيقة المحمدية) بلسان (الحقيقة) مرة وبلسان (الشريعة) مرة أخرى، وكأنه بذلك يؤكد لنا ضرورة تنويع الخطاب العقدي ليمس أكبر شريحة من المخاطبين، وليحدث كل قوم بما يفهمون، وبما يحملهم إلى العمل ويحثهم على الإقتداء.

فأصحاب (الحقيقة) تحركهم (المحبة) و(الشوق)، فكان الحديث معهم عن النور والأحوال الروحية ومقامات السلوك والتجليات الإلهية.

وأصحاب (الشريعة) يحركهم (الجزاء) و(الطمع في الثواب) فكان الحديث معهم عن الإقتداء بالسنة لأنها طريق الحب الموصل إلى مغفرة الذنوب ونيل الشفاعة يوم القيامة.

3- دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :

إن النُوْرْسي يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم من بين الأدلة على وجود الله تعالى[186] ولذلك اعتنى ببيان دلائل صدق نبوته، لإثبات وجود الله تعالى وكماله وجماله وجلاله إذ " تجليات عظمة الربوبية ،وهيمنة سلطنة الإلهية إنما تعرف برسالة هذا الداعية العظيم إلى سلطان الربوبية وتتبين بها، وتفهم عنها، وتؤخذ منها وتصدق بها "[187]، واعتنى بها من حيث الحديث عن الرسالة المحمدية في المقام الثاني.

والنُوْرْسي يعتبر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة بديهية يمكن أن نتلمسها إذا تأملنا حسن الصنعة الموجودة في الكون، تماما مثلما رأيناه يعتبر إثبات وجود الله تعالى قضية بديهية، وهو يعلل هذا الأمر بقوله: " مادام حسن الصنعة موجودا في الكون، وهو أمر قطعي كما يشاهد، يلزم إذن ثبوت الرسالة الأحمدية –عليه الصلاة والسلام – بقطعية يقينية بدرجة الشهود، لأن حسن الصنعة وجمال الصورة في هذه المصنوعات، يدلان على أن في صانعهما إرادة تحسين وطلب تزيين في غاية القوة، وأن إرادة التحسين وطلب التزيين يدلان على أن في صانعهما محبة علوية، ورغبة قدسية لإظهار كمالات صنعته التي في مصنوعاته، وأن تلك المحبة والرغبة تقتضيان قطعا تمركزهما في أكمل وأنور المصنوعات وأبدعها، ألا وهو الإنسان، ذلك لأن الإنسان هو الثمرة المجهزة بالشعور والإدراك لشجرة الخلق، وأن الثمرة هي أصح جزء وأبعده من جميع أجزاء تلك الشجرة، وله نظر عام وشعور كلي.

فالفرد الذي له نظر عام، وشعور كلي هو الذي يصلح أن يكون المخاطب للصانع الجميل والماثل في حضوره، ذلك لأنه يصرف كل نظره العام وعموم شعوره الكلي إلى التعبد لصانعه واستحسان صنعته وتقديرها وإلى شكر آلائه ونعمه، فبالبداهة يكون ذلك الفرد الفريد هو المخاطب المقرب والحبيب المحبوب"[188].

ويؤكد هذا المعنى في (رسالة الحشر) بقوله: " يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس، مثل هذا الرسول الكريم، كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس أن تشع ضياء كذلك لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام – عليهم السلام – "[189].

وبداهة صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تمنع النُوْرْسي من الإفاضة في إقامة الأدلة لإثباتها، في العديد من المواضع في رسائله، حتى أنه كتب رسائل خاصة بهذه

النقطة، فتناول فيها كل الأدلة[190]، وخصص رسائل أخرى لتفصيل بعضها[191]، ولا تكاد تخلو رسالة من التنبيه إلى دليل من هذه الأدلة.

ونحن سنعمد في حصر هذه الدلائل الكثيرة والمتكررة، على ما أورده النُورْسي في (الكلمة التاسعة عشر) و (الكلمة الحادية والثلاثين)، لأنهما جمعتا تقريبا ما تفرق في غيرهما من الرسائل الأخرى أو ذكر عرضا أثناء مناقشة ما لا يتصل مباشرة بموضوعنا.

وعليه واعتمادا على أن النُورْسي، نظر إلى دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم من جانب الصفات الشخصية للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن جانب مضمون رسالته وأثرها ومن جانب ما أيد به من معجزات[192]، فيمكن تلخيص هذه الدلائل بما يلي:

أ- الدلائل الذاتية:

وهي تلك الدلائل العائدة إلى الصفات الذاتية التي يتحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أسماها النُورْسي (الدلائل الأنفسية)، إذ يرى بأنه صلى الله عليه وسلم "كالشمس يدل على ذاته بذاته "[193].

وهذه الدلائل هي:

1- كمال الشخصية: فإذا ما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم في الظروف التي ظهر فيها تبين أنه الأكمل، مما يدل على أنه مصطفى ومختار ومهيأ للقيام بهذه الرسالة.

يقول النُورْسي: " إعلم أن للمحيط الزماني والمكاني تأثيرا عظيما في محاكمات العقول، فإن شئت فتعال لنذهب إلى خير القرون وعصر السعادة لنحظى بزيارته الكريمة صلى الله عليه وسلم ولو بالخيال - وهو على رأس وظيفته يعمل، فافتح عينيك وأنظر، فإن أول ما يتظاهر لنا في هذه المملكة شخص خارق، له حسن صورة فائقة في حسن سيرة رائقة "[194].

ولئن كان ذو الحياة هم أشرف الموجودات، وذو الشعور هم أنبل الأحياء وبنو آدم هم أكرم ذوي الشعور فأكرم بني آدم وأكملهم جميعا هو الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم [195].

2- كمال الأخلاق: " فقد اتفق الأعداء والأولياء - بما لا ريب فيه- أن ما يتحلى به صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الفاضلة هو أسمى الدرجات، وأن ما يتصف به من سجايا حميدة في دعوته هو في أعلى المراتب، تشهد بذلك معاملاته وسلوكه مع الناس،

وأن شريعته تضم أكمل الخصال الحسنة، تشهد بـذلك محاسـن الأخـلاق في دينـه القويم"[196].

3- كمال العبودية لله تعالى: إن الرسالة الخاتمة الشاملة تقتضي عبوديـة كليـة في المرسل – بفتح السين –، ولهذا اختار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه أكمل من تحقق بهذه الصفة، فالربوبية المطلقة تتطلب – كما يرى النُوْرْسي – إظهار سلطنتها الكلية وإعلان وحدانيتها وصمدانيتها على مختلف الطبقات بمبعوث ذي الجناحين " أي ذي صفتين: صفة العبودية الكلية فهو ممثل طبقات المخلوقات عند الحضـرة الربانيـة، وصفة الرسالة والقرب إليه، فهو مرسل من لدنه – سبحانه – إلى العالمين كافة "[197].

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أكمل من عرف ربه وهو أكمل من عبده حـق العبادة، حتى لكأن الكون كله قد غدا – بسر عبوديته– في صلاة وخشـوع ودعـاء، يصور لنا النُوْرْسي هذه الحقيقة بقوله: " فإن شئت فانظر إليه وهو في الصلاة الكبرى، التي بعظمتها وسعتها صيرت هذه الجزيرة، بل الأرض، مصلين بتلك الصلاة الكـبرى.. ثم أنظر إنه يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى.. بدرجة كأنه هو إمـام محـراب عصره واصطف خلفه، مقتدين به، جميع أفاضل بني آدم، من آدم عليه السلام إلى هـذا العصر إلى آخر الدنيا في صفوف الأعصار مؤتمين به ومؤمنين على دعائه "[198].

4- كمال الخصائص المرتبطة برسالته: ونعني بهذه الكمالات تلـك الـتي عـددها النُوْرْسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبارها خصائص ارتبطت مباشرة بوظيفة البلاغ، أو بعبارته هو وظيفة (رؤية الشؤون الإلهية وإراءتها)، فكأنها خصـائص ساقها النُوْرْسي في معرض المقارنة — ولو ضمنا– بين نبوة النبي صلى الله عليـه وسـلم ونبوة سائر إخوانه من الأنبياء ليبين أحقية المكانة التي نالها بينهم، وأهليته ليكون حاملا للوحي الشامل والرسالة الخاتمة.

وهذه الخصائص هي[199]:

1- أنه صلى الله عليه وسلم هو أكمل من دل على جمال الله تعالى وكماله المطلق من خلال لفت الأنظار إلى جمال الصنعة، وكمال الإبداع المشاهدين في الكون، فكـان بذلك ملبيا لإرادة الله تعالى في إظهار ذلك الجمال وتنبيه الخلق لروعته.

2- أنه صلى الله عليه وسلم أكمل من أعلن جميع مراتب التوحيد، فلبى إرادة رب العالمين في إعلان الوحدانية على طبقات المخلوقات، فكان بذلك أجلى مرآة وأصـفاها لعكس محاسن جمال مالك العالم ولطائف حسنه.

3- أنه صلى الله عليه وسلم أكمل وأفضل من أحب الله تعالى وحببه إلى الخلـق، فلبى بذلك إرادته تعالى في رؤية ذلك الجمال المقدس وإراءته بمقتضى الحقيقة والحكمة.

4- أنه صلى الله عليه وسلم أكمل مرشد بالقرآن الكريم للجن والإنس ولجميع ذوي الشعور، فبإرشاده:

- عرفهم ما في خزائن الغيب المحجوب من كنوز مخفية وشوقهم إليها.

- وجلى أمامهم معاني آثار صانع الكائنات لينعموا من خلالها النظر والتفكر والاعتبار.

- وحل لهم لغز الوجود، فأجابهم عن الأسئلة المؤرقة (من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟).

- وبين لهم المقاصد الإلهية وسبل الوصول إلى مرضاة رب العالمين.

وبهذه الخصائص السابقة كلها، يرى النُوْرْسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم استحق أن يكون " بالبداهة أعظم من استوفى مهمة الرسالة بالقرآن الكريم وأداها في أسمى مرتبة وأبلغ صورة وأحسن طراز، فلبى إرادة رب العالمين في صرف وجه الإنسان من الكثرة إلى الوحدة ومن الفاني إلى الباقي، ذلك الإنسان الذي خلقه — سبحانه – ثمرة للعالم، ووهب له في الاستعدادات ما يسع العالم كله، وهيأه للعبودية الكلية وابتلاه بمشاعر متوجهة إلى الكثرة والدنيا "[200].

ب- الدلائل الخارجة عن ذاته صلى الله عليه وسلم :

وهي تلك الأدلة التي تثبت صدق النبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى الخصائص الشخصية، وقد أسماها النُوْرْسي (الدلائل الآفاقية)، فمادامت النبوة (حقا)، فالمتأمل في الأنفس والآفاق يصل إلى الحق الذي دلت عليه.

وهذه الأدلة الآفاقية يحصرها النُوْرْسي في العناصر الآتية:

1- الكون: يجعل النُوْرْسي من حكمة خلق الكون منطلقا للاستدلال به – أي بالكون – على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالنُوْرْسي يميل إلى أن الحكمة من خلق الله تعالى للكون هي رؤيته – سبحانه – لجماله وكماله واراءته هذا الجمال والكمال لذوي الشعور[201]، وهذه الإراءة تقتضي مبعوثا قادرا على أن يكون (مرآة) عاكسة لجمال الله تعالى وكماله أمام نظر المخلوقات.

يقول النُوْرْسي: " مادام حسن الصنعة موجودا في الكون، وهو أمر قطعي كما يشاهد، يلزم إذا ثبوت الرسالة الأحمدية – عليه الصلاة والسلام – بقطعية يقينية بدرجة الشهود، لأن حسن الصنعة وجمال الصورة في هذه المصنوعات يدلان على أن في صانعها إرادة تحسين وطلب تزيين في غاية القوة، وأن إرادة التحسين وطلب التزيين يدلان على أن في صانعها محبة علوية ورغبة قدسية لإظهار كمالات صنعته التي في مصنوعاته، وأن تلك المحبة والرغبة تقتضيان قطعا تمركزها في أكمل وأنور المصنوعات

وأبدعها، ألا وهو الإنسان، ذلك لأن الإنسان هو الثمرة المجهـــزة بالشـــعور والإدراك لشجرة الخلق وأن الثمرة هي أجمع جزء وأبعده من جميع أجزاء تلك الشجرة وله نظـــر عام وشعور كلي "[202].

وأكمل من تحقق بالإدراك الكلي والعبودية التامة هو محمد صلى الله عليـــه وســـلم فكان أروع مصنوع بين مصنوعات الحق تعالى " فهل يقبل عقل ألا يبالي ولا يهتم صانع هذه المصنوعات المزينة بأنواع المحاسن ومنعم هذه النعم، المراعي لدقائق الأذواق حتى في أفواه الخلق، هل يعقل ألا يبالي بمثل هذا المصنوع الأجمل والأكمل المتوجه إليه بالتعبـــد، وألا يهتم بمثل هذا المخلوق الذي هز العرش والفرش بتهليلات استحســـانه وتكـــبيرات تقديراته لمحاسن صنعة ذلك الصانع، فاهتز البر والبحر إنتشاء من نغمات حمده وشـــكره وتكبيراته لنعم ذلك الفاطر الجليل ؟

وهل يمكن ألا يتوجه إليه ؟ وهل يمكن ألا يوحي إليه بكلام ؟ وهل يمكن ألا يجعلـــه رسولا ؟ وألا يري خلقه الحسن وحالاته الجميلة إلى الخلق أجمعين ؟

كلا ! ، بل لا يمكن ألا يمنحه كلامه وألا يجعله رسولا للناس كافة.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾[203]، **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِـــدَّاءُ عَلَـــى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**[204].

فالنُّوْرْسي يرى بأن الكون المثبت لوجود الله تعالى هو نفسه الدال على صدق نبـــوة الرسول صلى الله عليه وسلم وثبوتها ثبوتا قطعيا، فحسن الكون دليل على وجود صانع متصف بصفات الجمال والكمال[205] وبنا على أن كل ذي جمال يحب أن يرى جماله وأن يري للآخرين هذا الجمال[206]، فالله تعالى اختار من بين عباده أكملهم ليكون أجلـــى مرآة عاكسة لتجليات صفاته تعالى في هذه الموجودات المتقنة الصنع.

2- المعجزات[207]:

رأينا في المبحث الأول نظرة النُّوْرْسي إلى المعجزة وعلاقتها بالنبوة من جهة وبحيـــاة الإنسان من جهة أخرى.

أما هنا فسنتناول المعجزات التي أثبتها النُّوْرْسي كدلائل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو يقول مجملا هذه الدلائل: " نصلي ونسلم على ذلك الذات النوراني الهادي، ذي المعجزات بصلوات وسلاما يشير إلى قسم من معجزاته، على من أنـــــزل عليه القرآن الحكيم من الرحمن الرحيم من العرش العظيم.. على سيدنا محمد ألف ألـــف صلاة وسلام بعدد حسنات أمته.. على من بشر برسالته التوراة والإنجيل والزبور والزبر

.. وبشر بنبوته الإرهاصات وهواتف الجن وكواهن البشر، وانشق بإشـــارته القمـــر.. سيدنا محمد ألف ألف صلاة وسلام بعدد حسنات أمته.

على من جاءت لدعوته الشجر، ونـــزل سرعة بدعائه المطر، وأظلته الغمامـــة مـــن الحر، وشبع من صاع من طعامه مئات من البشر، ونبع الماء بين أصابعه كالكوثر ،وانطق الله له الضبع والظبي والذئب والجذع والذراع والجمل والجبل والحجر والمدر والشجر.. صاحب المعراج وما زاغ البصر[208].

فالنُوْرْسي في هذا النص يوسع من مفهوم (المعجزة) ليدخل في نطاقها كل مـــا دل على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات، ولو كان ذلك قبل البعثة، فهو هنا لا يفرق – كما فعل في (الكلمة الحادية والـــثلاثين) – بـــين (الإرهـــاص)[209] و(المعجزة) و (بشارة الأنبياء من قبل)[210].

وعليه يمكن أن نلخص هذه الدلائل (المعجزات) كما يلي:

1– القرآن الكريم:

لقد جعل النُوْرْسي القرآن الكريم من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى وهـــو هنـــا يعتبره من أعظم المعجزات الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولن نكون في حاجة إلى إعادة ما سبق ذكره تفصيلا[211] من وجوه الإعجاز التي عددها النُوْرْســـي في الكلمة الخامسة والعشرين (رسالة المعجزات القرآنية)، حيث أنه لخص فيها ما فصله في رسائل أخرى، يقول في مقدمتها: " لقد أشرنا إلى نحو أربعين وجها من وجوه إعجاز لا تحد للقرآن الحكيم الذي هو منبع المعجزات، والمعجزة الكبرى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ذلك في رسائلي العربية وفي رسائل النور العربية، وفي تفسيري الموسم بـــ (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز وفي الكلمات الأربع والعشرين.. وفي هذه الرســـالة نشير إلى خمسة من تلك الوجوه ونبينها بشيء من التفصيل وندرج فيها سائر الوجـــوه مجملة "[212].

وقد فصل النُوْرْسي على امتداد (الكلمة الخامسة والعشرين) هذه الوجوه الخمســـة، دون أن ينسى ربط مسألة الإعجاز بدلالة القرآن على صدق الرسول صلى الله عليـــه وسلم ، ومن ثمة إثبات وجود الله تعالى.

وهو يبدأ بتنبيه القارئ إلى أن ما نجده في القرآن الكريم من السلاسة الرائقة والسلامة الفائقة والتساند المتين والتناسب الرصين والتعاون القوي بين الجمل وهيأتها والتجـــاوب الرفيع بين الآيات ومقاصدها.. كل هذا ليس من قبيل البلاغة الداخلة تحت قدرة البشر،

لأن الظروف والملابسات التي نــزل فيها القرآن ما كانت لتساعد على إخراجه بهـــذا السبك البديع لو أنه من صنع بشر محدود القدرات والمدارك.

فالنُورْسي يرى أن ثمة سبعة أمور – على الأقل- كانت تحول دون أن يخرج القرآن على ما هو عليه الآن، لو أنه من وضع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه الحوائـــل هي:

"1- أن ذلك القرآن المبين نــزل في ثلاث وعشرين سنة نجما نجما لمواقع الحاجات نــزولا متفرقا متقطعا، مع أنه يظهر من التلاؤم الكامل كأنه نــزل دفعة واحدة.

2- أن ذلك القرآن المبين نــزل في ثلاث وعشرين سنة لأسباب نـــزول مختلفـة متباينة، مع أنه يظهر من التساند التام كأنه نــزل لسبب واحد.

3- أن ذلك القرآن جاء جوابا لأسئلة مكررة متفاوتة، مع أنه يظهر من الامتـــزاج التام والاتحاد الكامل كأنه جواب على سؤال واحد.

4- أن ذلك القرآن جاء بيانا لأحكام حوادث متفاوتة مع أنه يبين مـــن الانتظـــام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة.

5- أن ذلك القرآن نــزل متضمنا لتنــزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام مخاطبين لا يحصرون، ومن حالات من التلقي متخالفة متنوعة، مع أنه يبين من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل، كأن الحالة واحدة والفهم واحد، حتى تجري تلـــك السلاســـة كالماء السلسبيل.

6- أن ذلك القرآن جاء مكلما متوجها إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخـــاطبين صـــنف واحد بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة.

7- أن ذلك القرآن نــزل هاديا موصلا إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مـــع أنه يبين من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كأن المقصد واحـــد[213]".

والنُورْسي يعتقد أن بيان وجوه الإعجاز كاملة يحتاج إلى بضعة مجلدات، لذا فهـــو يكتفي بالإشارات وهي تغني من كان ذا قلب غير سقيم وعقل مستقيم ووجدان غـــير مريض وذوق سليم، في الدلالة على كون القرآن الكريم هو أعظم معجزة دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه فيما أخبر به من حقائق الإيمان.

فالمتأمل المنصف لابد وأن يسلم بأن " هذا القرآن ذا المعجزات بكل جهة هكذا، قد شهد في صورة الإثبات بالدلائل، على وجوب وجود واجب وجود واحد أحد، وعلى

وحدته وصفاته وأسمائه، بإجماع سوره وباتفاق آياته، وبتوافق أسراره وأنواره، وبتطابق ثمراته وآثاره، فترشحت ما لا حد لها من شهادات جميع أهل الإيمان من شهادته "[214].

فالقرآن عند النُوْرْسي يثبت بإعجازه نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك مثبتا لوجود الله تعالى ووحدانيته إذ هي أعظم حقيقة أخبر بها هذا الرسول، وهو بإعجازه يثبت أيضا وجود الله تعالى ووحدانيته فيكون بذلك مثبتا لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعى إرساله من قبيل الله تعالى، ولعل هذا ما جعل النُوْرْسي يذكر القرآن كدليل على وجود الله تعالى ويذكره في هذا المقام كدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم [215].

2- المعجزات الأخرى:

والتي - كما أشرنا- يجمع فيها النُوْرْسي بين المعجزة والإرهاص، ويذكر منها الأمثلة التالية:

- بشارات التوراة والإنجيل والزبور والزبر[216].
- " ما حدث ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من سقوط الأصنام في الكعبة وانشقاق ديوان كسرى وأمثالها من مئات الارهاصات والخوارق المشهودة في كتب التاريخ "[217].
- بشارات الكهان وهواتف الجن[218].
- انشقاق القمر[219].
- نزول المطر[220].
- تكثير الطعام[221].
- أنطق له الجذع[222] والشجر[223].
- أنطق له الحجر[224].
- نبعان الماء من بين أصابعه الشريفة وسقيه الجيش به[225].
- تكليم الذراع المسمومة له[226].
- تكليم الجبل[227] والضب والظبي والجمل.
- المعراج[228].

تكلم هي الأمثلة التي يسوقها النُوْرْسي لبيان بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ما عدا القرآن الكريم.

وقبل أن نختم الحديث عن مسألة المعجزات نشير إلى أن النُوْرْسي حينما تناولها أكد على أمرين:

- الأول:

أن عددها كثير جدا، وإنما هو اكتفى في رسائله بالإشارة إلى بعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

يقول في (الكلمة التاسعة عشر): " اعلم أن دلائل النبوة الأحمدية لا تعد ولا تحد ولقد صنف في بيانها أعاظم المحققين"[229]، ويكرر الملاحظة في (الكلمة الحادية والثلاثين) بعد أن يعطي أمثلة عن المعجزات فيقول: "... وأمثالها من المعجزات الثابتة لدى العلماء المحققين والتي تبلغ الألف قد أثبتتها كتب السير والتاريخ "[230].

– الثـاني:

أن المعجزات المادية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لها (دور محدد) بالنظر إلى طبيعة الرسالة المحمدية ووظيفتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء للناس أجمعين وكلف بهدايتهم إلى المناهج القويمة في حياتهم الفردية والاجتماعية على السواء، وهذان العاملان (عموم الرسالة وشمول الهداية) يجعلان من غالب أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم السير وفق السنن الكونية والاجتماعية، فتكون المعجزة – باعتبارها خرقا لهذه السنن – استثناء يؤتى بها في حالات خاصة محددة لإرغام المعاندين والمكذبين.

يقول النُوْرْسي مجيبا عن سؤال: كيف يغلب الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات كأحد وحنين على الرغم من كونه رسولا مؤيدا من قبل الله تعالى بالمعجزات؟

الجـواب: " أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى البشرية كافة، قدوة وإماما ورائدا كي تتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها، وتتعود على الانقياد لقوانين الإرادة الإلهية الحكيمة وتنسجم مع دساتيرها الربانية.

فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستندا إلى المعجزات وخوارق العادات في جميع أفعاله الشخصية منها والاجتماعية لما تسنى له أن يكون إماما مطلقا ولا قدوة كاملة حسنة للبشرية قاطبة.

ولهذا السبب لم يظهر صلى الله عليه وسلم المعجزات إلا تصديقا لدعواه بشكل متفرق عند الحاجة لكسر عناد المنكرين[231]، في سائر الأوقات فقد كان صلى الله عليه وسلم مراعيا بكل دقة لقوانين عادة الله ولسننه الجارية، ومطيعا طاعة كاملة لنواميسه المؤسسة على الحكمة الربانية والمشيئة الإلهية، كطاعته ومراعاته للأوامر الإلهية، لذا كان صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع في الحروب ويأمر الجند بالتترس بالموانع ضد الأعداء، ويجرح ويتأذى ويتحمل المشقات.. كل ذلك لكي يبين مدى طاعته الكاملة ومراعاته للقوانين الإلهية الحكيمة وانقياده التام لشريعة الفطرة الكونية ونواميسها "[232].

والنُورْسي هنا بقدر ما يحدد علاقة المعجزة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته فهو أيضا يغلق أمام الناس أبواب الخرافات والأساطير التي يحلو للبعض منهم أن يلصقوها بالحياة النبوية، فيصورون هذه الحياة بشكل تكتنفه الخوارق من كل جانب، فيكونون بفعلهم قد فصلوا الرسالة المحمدية عن الإنسان والحياة.

وهذا التنبيه من قبل النُورْسي يؤكد أيضا سعيه –كما قلنا من قبل– إلى عرض مباحث العقيدة انطلاقا من معقوليتها وربطها بواقع الإنسان وجعلها عاملا محركا للعمل لا مجرد تصورات مبتوتة الصلة بالحياة والأحياء.

– وهذه الرؤية الواضحة للمعجزة وموضعها في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بالتكليف بالإيمان، تبرز بشكل جلي أثناء رد النُورْسي على شبهات الفلاسفة الماديين، الذين ينكرون المعجزات بدعوى عدم رؤيتها أو منافاتها للحقائق العلمية والتاريخية.

وعلى الرغم من أنه لا يتناول –عادة– شبهات المنكرين بشكل تفصيلي وإنما يشير إليها ضمنا ويرد عليها دون ذكرها صراحة، إلا أننا نجده في نهاية (الكلمة الحادية والثلاثين) يقف مطولا مع شبهة منكري (معجزة انشقاق القمر)، وكأنما أراد أن يضع أمامنا مثالا عن منهجه في الرد على منكري المعجزات.

والذي يجعلنا نقول بأن ما أورده في نهاية الكلمة الحادية والثلاثين هو عبارة عن مثال لمنهج الرد على الشبهات أننا عند القراءة نجد ما يلي:

1– أنه أورد الرد تحت عنوان (ذيل: الكلمة التاسعة عشر والحادية والثلاثين): – وكما سبق وأن أشرنا – فكلتا الكلمتين (الرسالتين) قد خصصتا لبيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكأنه بعد أن سرد المعجزات أراد أن يضع أمام القارئ منهجا للرد على منكريها من خلال مناقشة شبهات منكري معجزة (انشقاق القمر)، وإلا فالاعتراض وارد من الماديين أيضا على بقية المعجزات الأخرى.

2– أن طريقة المناقشة تبين أن النُورْسي إنما يضع قواعد عامة لبيان حقيقة (المعجزة)، وعلاقتها بالرسالة المحمدية وبالتكليف بالإيمان، ثم يطبق ذلك على القضية الجزئية محل النقاش (انشقاق القمر).

3– انه خلال المناقشة يشير إلى بقية المعجزات التي سبق تفصيلها في الرسالتين، بشكل يفهم منه أنها أيضا مقصودة بالحديث وإن كان التفصيل تناول (انشقاق القمر).

وفيما يلي النص المحدد لهذا المنهج الذي يراه النُورْسي مناسبا لمناقشة الماديين المنكرين للمعجزات.

يقول: " ذيل: الكلمة التاسعة عشر والحادية والثلاثين.

معجـــزة انشقـــاق القمر:

بسم الله الرحمن الرحيم (**اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَـــةً يُعْرِضُـــوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**) [القمر: الآية 1-2].

إن فلاسفة ماديين – ومن يقلدوهم تقليدا أعمى – يريدون أن يطمسوا ويخســفوا بمعجزة انشقاق القمر الساطع كالبدر، فيثيروا حولها أوهاما فاسدة، إذ يقولون (لو كان الانشقاق قد حدث فعلا لعرفه العالم، ولذكرته كتب التاريخ كلها).

الجـــــواب: إن انشقاق القمر معجزة لإثبات النبوة، وقعت أمـــام الـــذين سمعـــوا بدعوى النبوة وأنكروها، وحدثت ليلا في وقت تسود فيه الغفلة، وأظهر آنيا، فضلا عن أن اختلاف المطالع ووجود السحاب والغمام وأمثالها من الموانع تحول دون رؤية القمر، علما أن أعمال الرصد ووسائل الحضارة لم تكن في ذلك الوقت منتشرة، لذا لا يلزم أن يرى الانشقاق كل الناس، في كل مكان، ولا يلزم أيضا أن يدخل كتب التاريخ[233].

فاستمع الآن إلى نقاط خمس فقط من بين الكثير منها، تبدد – بإذن الله – ســـحب الأوهام التي تلبدت على وجه هذه المعجزة الباهرة.

– **النقطـــة الأولـــى**: إن تعنت الكفار في ذلك الزمان معلوم ومشـــهود تاريخيـــا، فعندما أعلن القرآن الكريم (**انشق القمر**) وبلغ صداه الآفاق لم يجرؤ أحد من الكفار – وهم يجحدون القرآن – أن يكذب بهذه الآية الكريمة، أي ينكر وقوع الحادثة، إذ لو لم تكن الحادثة قد وقعت فعلا في ذلك الوقت، و لم تكن ثابتة لـــدى أولئـــك الكفـــار، لاندفعوا بشدة ليبطلوا دعوى النبوة ويكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينمـــا لم تنقل كتب التاريخ والسير شيئا من أقوال الكفار حول إنكارهم حدوث الانشقاق، إلا ما تبينه الآية الكريمة (**ويقولوا سحر مستمر**) وهو أن الذين شاهدوا المعجزة من الكفار قالوا: هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أ رأوا ذلـــك أم لا ؟ ولمـــا حـــان الصباح، أتت القوافل من اليمن وغيرها فسألوهم، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك فقالوا: أن سحر يتيم أبي طالب قد بلغ السماء.

– **النقطـــة الثـــانيـــة**: لقد قال معظم أئمة علم الكلام، من أمثال سعد التفتزاني: إن انشقاق القمر متواتر، مثل فوران الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم وارتواء الجيش منه، ومثل حنين الجذع من فراقه صلى الله عليه وسلم الذي كان يستند إليه أثناء الخطبة وسماع جماعة المسجد لأنينه أي أن الحادثة نقلته[234] جماعة غفيرة عـــن

جماعة غفيرة يستحيل طواطؤهم على الكذب، فالحادثة متواترة تواتر قطعيا كظهور المذنب قبل ألف سنة وكوجود جزيرة سرنديب التي لم نرها.

وهكذا ترى أن إثارة الشكوك حول هذه المسألة القاطعة وأمثالها من المسائل المشاهدة شهود عيانا إنما هي بلاهة وحماقة، إذ يكفي فيها أنها من الممكنات وليست مستحيلا[235].

علما أن انشقاق القمر ممكن كانفلاق الجبل ببركان.

– **النقطة الثالثة**: إن المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين وليس إرغامهم على الإيمان، لذا يلزم إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة، أما إظهارها في جميع الأماكن، أو إظهارها إظهارا بديهيا بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو مناف لحكمة الله الحكيم ذي الجلال، ومخالف أيضا لسر التكليف الإلهي، ذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه.

فلو كان الخالق الكريم قد ترك معجزة الانشقاق باقية لساعتين من الزمان، وأظهرها للعالم أجمع ودخلت بطون التاريخ كما يريدها الفلاسفة، لكان الكفار يقولون أنها ظاهرة فلكية معتادة وما كانت حجة على صدق النبوة ولا معجزة تخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أو لكانت تصبح معجزة بديهية ترغم العقل على الإيمان وتسلبه من الاختيار وعندئذ تتساوى أرواح سافلة كالفحم الخسيس من أمثال أبي جهل مع الأرواح العالية الصافية كالألماس من أمثال أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أي لكان يضيع سر التكليف الإلهي.

ولأجل هذا فقد وقعت المعجزة آنيا، وفي الليل، وحين تسود الغفلة، وغدا اختلاف المطالع والغمام وأمثالها حجبا أمام رؤية الناس لها، فلم تدخل بطون كتب التاريخ.

– **النقطة الرابعة**: أن هذه المعجزة التي وقعت ليلا وآنيا، وعلى حين غفلة، لا يراها كل الناس دون شك في كل مكان، بل حتى لو ظهرت لبعضهم فلا يصدق عينيه، ولو صدقها، فإن حادثة كهذه مروية من شخص واحد لا تكون ذات قيمة للتاريخ.

ولقد رد العلماء المحققون ما يزيد في رواية المعجزة من أن القمر بعد انشقاقه قد هبط إلى الأرض، قالوا: ربما أدخل هذه الزيادة بعض المنافقين ليسقطوا الرواية من قيمتها ويهونوا من شأنها[236].

ثم إن في ذلك الوقت كانت سحب الجهل تغطي سماء انكلترا ،والوقت على وشك الغروب في إسبانيا وأمريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفس في الصين واليابان[237].. وفي غيرها من البلدان هناك موانع أخرى للرؤية، فلا تشاهد هذه المعجزة العظيمة فيها.

فإذا علمت هذا فتأمل كلام الذي يقول (إن تأريخ انكلترا والصين واليابان وأمريكا وأمثالها من البلدان لا تذكر هذه الحادثة، إذن لم تقع) أي هذر هذا.. ألا تبا للذين يقتاتون على فتات أوروبا.

– **النقطة الخامسة**: إن انشقاق القمر ليس حادثة حدثت من تلقاء نفسها، بناء على أسباب طبيعية وعن طريق المصادفة، بل أوقعها الخالق الحكيم – رب الشمس والقمر – حدثا خارقا للسنن الكونية، وتصديقا لرسالة الحبيب صلى الله عليه وسلم وإعلانا عن صدق دعوته، فأبرزه – سبحانه وتعالى – وفق حكمته بمقتضى سر الإرشاد والتكليف وحكمة تبليغ الرسالة وليقيم الحجة على من شاء من المشاهدين له، بينما أخفاه – اقتضاء لحكمته سبحانه ومشيئته – عمن لم تبلغهم دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم من الساكنين في أقطار العالم، وحجبه عنهم بالغيوم والسحاب وباختلاف المطالع وعدم طلوع القمر أو شروق الشمس في بعض البلدان وانجلاء النهار في أخرى وغروب الشمس في غيرها.. وأمثالها من الأسباب الداعية إلى حجب رؤية الانشقاق.

لو أظهرت المعجزة[238] إلى جميع الناس في العالم فإما أنها كانت تبرز لهم نتيجة إشارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وإظهار لمعجزة نبوته، وعندها تصل إلى البداهة، أي يضطر الناس كلهم إلى التصديق أي يسلب الاختيار منهم، فيضيع سر التكليف، بينما الإيمان يحافظ على حرية العقل في الاختيار ولا يسلبها منه[239].. أو أنها تبرز لهم كحادثة سماوية محضة وعندها تنقطع صلتها بالرسالة الأحمدية ولا يبقى لها مزية خاصة"[240].

ج– مضمون الرسالة المحمدية وآثارها:

لم يكتف النُوْرْسي بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما أيد به من معجزات، كدلائل على صدق نبوته، بل تناول بالتحليل أيضا، مضمون الرسالة التي جاء بها وأثرها في الكون والإنسان.

فكما أن المنصف إذا تأمل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ووزنها بموازين العقل السليم أقر بنبوته وكذلك إن هو تتبع المعجزات الثابتة بالدليل القطعي ووقف بالخصوص مع أعظم المعجزات (القرآن الكريم) لا يسعه إلا التصديق بها، فإنه إن نظر إلى

ما يدعو إليه هذا الرسول وتلمس الآثار التي أحدثها بدعوته تلك فحتمـــا سيصـــل إلى النتيجة ذاتها.

ومن هنا كثر حديث النُوْرْسي في رسائله عن الرسالة المحمدية مبينا مضمونها ومبرزا آثارها، جاعلا من ذلك دليلا على صدق صاحبها.

وسنحصر كلامنا هنا في نقطتين تناول من خلالها النُوْرْسي هذه المسألة:

(الأولى): مضمون الرسالة، (الثانية): آثارها.

1- مضمون الرسالة المحمدية:

لقد تناول النُوْرْسي هذه النقطة من خلال حديثه عن القرآن الكريم - باعتباره أصل الرسالة المحمدية- وكذلك من خلال عقد الموازنات بين ما يدعو إليه القرآن، وما تدعو إليه الفلسفات المادية، وأيضا من خلال الحديث عن دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

ولئن كان الأمران الأولان (الحديث عن القرآن[241] والموازنات[242]) قد ســبق وأن أشرنا إليهما في بحث سابق، فإن حديثنا يركز هنا أساسا على الأمر الثالث (أي اعتبـــار مضمون الشريعة دليلا على صدق الرسول).

- ينطلق النُوْرْسي في بيان مضمون الرسالة المحمدية وكونها دليلا على صدق نبـــوة صاحبها، من خلال بيان أن هذه الرسالة إنما هي المرآة التي تظهر تجلي أسماء الله الحسنى في الكون.

فالشريعة هي (الدرس) الذي يعلم (الإنسان) وينبهه إلى ما بث في الكون من جمـــال إلهي، وكل درس لابد له من (معلم) مؤهل لإيصال المعرفة إلى المتعلم.

فيكون دليل النُوْرْسي في هذه المسألة مركبا بالشكل التالي وذلك بناء على نظريـــة التجلي:

- الكون والموجودات هي تجليات لأسماء الله الحسنى.
- الرسالة ترشد الإنسان وتعرفه بسلطان الربوبية.
- هذا التعريف يقتضي معرفا مؤهلا لذلك وهو الرسول صلى الله عليه وسلم

يقول موضحا هذا الأمر: " يصح أن يقال: إن اسم الله (الحكم) و(الحكيم) يقتضيان بداهة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالته، ويدلان عليها ويستلزمانها.

نعم! ما دام الكتاب البليغ بمعانيه ومراميه، يقتضي بالضرورة معلما بارعا لتدريسه، والجمال الفائق يقتضي مرآة يتراءى فيها، ويرى جماله وحسنه، والصنعة البديعة تستدعي مناديا داعيا إليها.

فلابد أن يوجد بين بني البشر، الذي هو موضوع خطاب كتاب الكون الكبير المتضمن مئات المعاني البليغة والحكم الدقيقة في كل حرف من حروفه، أقول: لابد أن يوجد رائد أكمل، ومعلم أكبر، ليرشد الناس إلى ما في ذلك الكتاب الكبير من حكم مقدسة حقيقية.. وليعلم وجود الحكم المبثوثة في أرجائه ويدل عليها.. وليكون مبعث ظهور المقاصد الربانية في خلق الكون، بل السبب في حصولها.. وليرشد إلى ما يريد الخالق إظهاره من كمال صنعته البديعة، وجمال أسمائه الحسنى، فيكون كالمرآة الصافية لذلك الكمال البديع والجمال الفائق.. ولينهض بعبودية واسعة باسم المخلوقات قاطبة، تجاه مظاهر الربوبية الواسعة، مثيرا الشوق وناثرا الوجد في الآفاق برا وبحرا وملفتا أنظار الجميع إلى الصانع الجليل بدعوة ودعاء وتهليل وتسبيح وتقديس، ترن به أرجاء السماوات والأرض "[243].

ويزيد الأمر بيانا بقوله: " مثلما يقتضي التجلي الأعظم لاسم (الحكم الحكيم) —في أوسع مداه – الرسالة الأحمدية ،فإن أغلب الأسماء الحسنى (الله، الرحمن، الرحيم، الودود، المنعم، الكريم، الجميل، الرب...) وأمثالها تستلزم الرسالة الأحمدية في أعظم تجلياتها وإحاطتها بالكون كله استلزاما قاطعا لا ريب فيه..."[244].

ويخلص في النهاية إلى أن " تجليات عظمة الربوبية وهيمنة سلطنة الألوهية إنما تعرف برسالة هذا الداعية العظيم إلى سلطان الربوبية وتتبين بها، ونفهم عنها، وتؤخذ منها وتصدق بها.

وهكذا فأغلب الأسماء الحسنى إنما هي برهان باهر على الرسالة الأحمدية"[245].

– وينظر النُوْرْسي أيضا إلى مضمون الرسالة المحمدية من خلال تركيزها على (التوحيد)، فيرى أن كل دليل يثبت (التوحيد) هو دليل مثبت للرسالة التي قامت عليه، ومن ثم دليل على صدق الداعي إليها فيما يدعي من النبوة.

يقول: " إن هذا التوحيد الحقيقي بجميع مراتبه، وبأتم صوره الكاملة، قد أثبته وأعلنه وفهمه وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا بد أن رسالته ثابتة وقاطعة كقطعية ثبوت التوحيد نفسه، لأنه: لما كان التوحيد هو أعظم حقيقة في عالم الوجود وأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بجميع حقائقه.. فلابد أن

جميع البراهين التي تثبت التوحيد تكون بدورها براهين لإثبات رسالته وأدلة على صدق نبوته وأحقية دعوته صلى الله عليه وسلم "[246].

– وينظر إلى انسجام مضمونها مع ما ركب في الإنسان من حب للاستطلاع وشوق إلى المعرفة وكشف حقائق الأشياء، بل ما يدعو هذا الرسول إلى معرفته (وهـــو الله – تعالى)، لا تعد الأشياء التي يسعى الإنسان إلى معرفتها، إلا حقائق تافهـــة لا وزن لهـــا، زيادة إلى قيام الأدلة على صدق ما يدعو إليه.

يقول: " أنظر واستمع إلى ما يقول [يعني الرسول صلى الله عليه وسلم]، هـــاهو ذا يبحث عن حقائق مدهشة عظيمة، ويبحث عن مسائل جاذبة للقلوب جالبة للعقول إلى الدقة والنظر، إذ من المعلوم أن شوق كشف حقائق الأشياء قد ساق الكثيرين من أهـــل حب الاستطلاع واللهفة والاهتمام إلى فداء الأرواح، ألا ترى أنه لـــو قيـــل لـــك: إن افتديت نصف عمرك أو نصف مالك، لنـــزل من القمر أو المشتري شـــخص يخـــبرك بغرائب أحوالهما ويخبرك بحقيقة مستقبل أيامك ؟ أظنك ترضى بالفداء.

فيا للعجب: ترضى لدفع ما تتلهف إليه بنصف العمر والمال، ولا تهتم بما يقول هـــذا النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم –، ويصدقه إجماع أهل الشـــهود وتـــواتر أهـــل الاختصاص من الأنبياء والصديقين والأولياء المحققين، بينما هو يبحث في شؤون سلطان، ليس القمر في مملكته إلا كذباب يطير حول فراش، وهذا يحوم حول سراج مـــن بـــين ألوف من القناديل التي أسرجها في منـــزل من بين ألوف منازله، الذي أعده لضيوفه.. وكذا يخبر عن عالم هو محل الخوارق والعجائب، وعن انقلاب عجيب، بحيث لو انفلقت الأرض، وتطايرت جبالها كالسحاب، ما ساوت عشر معاشر غرائب ذلك الانقـــلاب، فإن شئت فاستمع من لسانه أمثال السور الجليلة (**إذا الشمس كورت**) و(**إذا السماء انفطرت**) و(**وإذا زلزلت الأرض زلزالها**) و(**القارعة**).

وكذا يخبر بصدق عن مستقبل، ليس مستقبل الدنيا بالنسبة إليه إلا كقطرة سراب بلا طائل بالنسبة إلى بحر بلا ساحل.

وكذا يبشر عن شهود بسعادة، ليست سعادة الدنيا بالنسبة إليها إلا كـــبرق زائـــل بالنسبة إلى شمس سرمدية "[247].

– وينظر إلى مضمون الرسالة في علاقتها بالإنسان والكون، فصـــاحبها يـــدعو إلى الكمال الذي لولاه لسقطت الموجودات إلى أسفل سافلين، فسمو الغاية التي تهدف إليها هذه الرسالة دليل على صدق صاحبها.

يقول: " ثم أنظر لأي مقصد وغاية يتضرع ؟ هاهو يدعو لمقصد لولا حصـــول ذاك المقصد لسقط الإنسان بل العالم، بل كل المخلوقات، إلى أسفل سافلين لا قيمة لهـــا ولا معنى، وبمطلوبه تترقى الموجودات إلى مقامات كمالاتها "[248].

بل إن من كمالات الرسالة في علاقتها بالكون، أن أصبحت في نظر النُوْرْسي روحا تمنح الكون الحياة وعقلا يهب له الهداية " فإذا ما فارق نور الرسالة المحمديـــة الكـــون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون جن جنونـــه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزال عقلها، وظلت دون شعور، واصطدمت بإحـــدى سيارات الفضاء وقامت القيامة "[249].

تلكم هي الزوايا التي نظر من خلالها النُوْرْسي إلى مضمون الرسالة المحمدية، باعتباره – أي المضمون – دليلا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته، فهي رسالة (تعلم الإنسان شؤون الربوبية المتجلية في الكون) وهي (رسالة قامت على التوحيد الذي يثبت بالعديد من الأدلة) وهي (رسالة دعت إلى رقي الإنســـان والكـــون إلى أعلـــى مقامات الكمال).

فهذه الأمور إن فحصت مجتمعة أو منفردة قادت إلى التصديق بنبوة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.

2- آثار الرسالة المحمدية:

إن مما يبين صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يرى النُوْرْســـي، تلـــك الآثار التي أحدثتها رسالته في الحياة، والتي برزت من خلال التغيرات التي طرأت علـــى الكون والإنسان، أي على جميع الموجودات.

ولهذا وجدناه يقف مع بيان هذه الآثار، مشيرا إلى الحياة مرة وإلى الكون أخرى وإلى الإنسان حينا وإلى العرب خاصة حينا آخر.

وهذه الآثار كما ينبه إليها النُوْرْسي يمكن حصرها فيما يلي:

أ- فبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم تحولت (الحياة) كلها – الكون والإنسان- إلى لحظة صلاة (كونية)، تتعالى عن الزمن فيحضرها كل العباد من آدم – عليه السلام – إلى آخر الزمن، ويصطف فيها من يعبد الله اختيارا (الإنسان) ومن يعبده اضـــطرارا (بقية الكائنات).

يصور لنا النُوْرْسي هذه (الصلاة الكونية) بلسان الصوفية الذين يجعلون من الـــذات المحمدية مركز الكون، فيقول: " فإن شئت فانظر إليه وهو في الصلاة الكبرى.. ثم أنظر إليه يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى، بدرجة كأنه هو إمام في محراب عصـــره،

واصطف خلفه، مقتدين به، جميع أفاضل بني آدم، من آدم –عليه السلام– إلى هذا العصر إلى آخر الدنيا، في صفوف الأعصار مؤتمين به ومؤمنين على دعائه، ثم استمع ما يفعل في تلك الصلاة بتلك الجماعة.. فهاهو يدعو لحاجة شديدة عظيمة عامة بحيث تشترك معه في دعائه الأرض والسماء، بل كل الموجودات، فيقولون بألسنة الأحوال: نعم يا ربنا تقبل دعاءه، فنحن أيضا بل مع جميع ما تجلى علينا من أسمائك نطلب حصول ما يطلب هو.. ثم أنظر إلى طوره في طرز تضرعاته كيف يتضرع، بافتقار عظيم، في اشتياق شديد وبحزن عميق في محبوبية حزينة، بحيث يهيج بكاء الكائنات فيبكيها، فيشركها في دعائه، ثم أنظر لأي مقصد وغاية يتضرع؟ هاهو يدعو لمقصد لولا حصول ذلك المقصد لسقط الإنسان، بل العالم، بل كل المخلوقات إلى أسفل سافلين لا قيمة لها ولا معنى، وبمطلوبه تترقى الموجودات إلى مقامات كمالاتها.. ثم أنظر كيف يتضرع باستمداد مديد، في غياث شديد، في استرحام بتودد حزين، بحيث يسمع العرش والسماوات، ويهيج وجدها، حتى كأن العرش والسماوات بقول: آمين، اللهم آمين.. ثم ينظر ممن يطلب مسئوله ؟ نعم! يطلب من القدير السميع الكريم ومن العليم البصير الرحيم الذي يسمع أخفى دعاء من أخفى حاجة، إذ يجيبه بقضاء حاجته بالمشاهدة، وكذا يبصر أدنى أمل في أدنى ذي حياة في أدنى غاية، إذ يوصله إليها من حيث لا يحتسب بالمشاهدة ويكرم ويرحم بصورة حكيمة وبطرز منتظم، لا يبقى ريب في أن هذه التربية والتدبير من سميع عليم وبصير حكيم "[250].

2- وبرسالته صار للحياة والأحياء أهداف أسمى وأرقى، وأصبح للحياة وللعلاقات بين الأحياء معان إيجابية نقلتها من العداوة والتصادم إلى الأخوة والتحابب، يستوي في ذلك ذو الحياة والجمادات.

يقول: " أنظر إلى هذا الشخص النوراني كيف ينشر من الحقيقة ضياء نوارا، ومن الحق نورا مضيئا، حتى صير ليل البشر نهارا، وشتاءه ربيعا، فكأن الكائنات تبدل شكلها فصار العالم ضاحكا مسرورا بعدما كان عبوسا قنطريرا.. فإذا ما نظرت إلى الكائنات خارج نور إرشاده، تر في الكائنات مأتما عموميا، وتر موجوداتها كالأجانب الغرباء والأعداء، لا يعرف بعض بعضا، بل يعاديه، وتر جامداتها جنائز دهاشة، وتر حيواناتها أيتاما باكين بضربات الزوال والفراق.

فهذه هي ماهية الكائنات عند من لم يدخل دائرة نوره، فانظر الآن بنوره وبمرصاد دينه وفي دائرة شريعته، إلى الكائنات كيف تراها ؟ فانظر، قد تبدل شكل العالم، فتحول بيت المأتم العمومي، مسجد الذكر والفكر ومجلس الجذبة والشكر، وتحول الأعداء

الأجانب من الموجودات أحبابا وإخوانا، وتحول كل من جماداتها الميتة الصامتة حيا مؤنسا مأمورا مسخرا ناطقا بلسان حاله آيات خالقه، وتحول ذو الحياة منها — الأيتام الباكون والشاكون – ذاكرين في تسبيحاتهم، شاكرين لتسريحهم عن وظائفهم "[251].

فهذا الأثر — كالأثر السابق – صاغه النُوْرْسي بلسان المتصوف الذي يحاول أن يتجاوز الظاهر لينفذ ببصيرته إلى باطن الأشياء، متوسلا في ذلك بلغة مجازية تضفي الحياة على الجمادات وتبعث الروح فيها، لتقريب المعنى للمخاطب[252].

3- وبرسالته خرجت الموجودات من دائرة العبث إلى دائرة الحكمة: " لقد تحولت بذلك النور حركات الكائنات وتنوعاتها وتغيراتها من العبثية والتفاهة وملعبة المصادفة إلى مكاتيب ربانية، وصحائف آيات تكوينية ومرايا أسماء إلهية، حتى ترقى العالم وصار كتاب الحكمة الصمدانية "[253].

4- وبرسالته منح الكائنات وجودا حقيقيا، لا باعتباره (خالقا)، ولكن باعتباره (معرفا) لحكمة الله فيها، و(دالا) على بديع صنعته تعالى فيها، و(عارضا) لها أمام أعين ذوي الشعور، ولولا بعثته ورسالته لبقيت في طي (العدم).

يقول: " لو لم يوجد هذا الشخص لسقطت الكائنات والإنسان، وكل شيء إلى درجة العدم ،لا قيمة ولا أهمية لها، فيلزم لمثل هذه الكائنات البديعة الجميلة من مثل هذا الشخص الخارق الفائق، المعرف المحقق، فإذا لم يكن هذا فلا تكن الكائنات، إذ لا معنى لها بالنسبة إلينا "[254].

5- أما حينما يتناول النُوْرْسي أثر الرسالة المحمدية على الإنسان، فهو يشير إلى أثرها في الإنسان عموما وفي العرب بشكل خاص، على اعتبار أنهم أمثل نموذج يتبين من خلاله الباحث أثر الرسالة وصدق صاحبها.

– فبين أن الرسالة المحمدية وهي تخاطب الإنسان، ارتفعت به من درجة (الحيوانية) و(العجز) و(الفقر) وغيرت نظرته إلى (الزمن)، وبالجملة هيأته (للخلافة) والارتقاء إلى أعلى المراتب في سلم الموجودات، على الرغم من ضعفه وقصوره وعجزه.

يقول: " وانظر إلى الإنسان كيف ترقى من حضيض الحيوانية الذي هوى إليه بعجزه وفقره وبعقله الناقل لأحزان الماضي ومخاوف المستقبل، ترقى إلى أوج الخلافة بتنور ذلك العقل والعجز والفقر، فانظر كيف صارت أسباب سقوطه — من عجز وفقر وعقل – أسباب صعوده بسبب تنورها بنور هذا الشخص النوراني"[255].

– وبين أن أثر رسالته على العرب خاصة، ظهرت في أمرين بارزين:

1- نقلهم في مدة وجيزة من طور (البداوة) إلى طور (المدنية والحضارة): حيث زودهم بمقومات الحضارة وأخلاقها، وهذا عمل لا يمكن أن يحدث – بالنظر إلى العرب آنذاك وما كانوا عليه من مستوى وأخلاق – في تلك المدة القصيرة، إلا إذا كان وراء رسالة التغيير (قوة قدسية).

يقول: " فإن شئت أن تعرف أن ما يحركه، إنما هو قوة قدسية، فانظر إلى إجراءاته في هذه الجزيرة الواسعة، ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة، المتعصبين لعادتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة البدائية وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة ؟ وجهزهم بأخلاق حسنة عالية، فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتيذ الأمم المتمدنة "[256].

وهذا التغيير الذي أحدثه في العرب لم يكن (ظاهريا) ناشئا عن قوة (السيف) كما قد يتوهم متوهم، وإنما هو تغيير ضارب بجذوره في أعماق النفس، يقول النُورْسي – مستطردا – " فانظر، ليست سلطته على الظاهر فقط بل هاهو يفتح القلوب والعقول، ويسخر الأرواح والنفوس، حتى صار محبوب القلوب ومعلم العقول ومربي النفوس وسلطان الأرواح "[257].

2- تخليصهم في مدة وجيزة من عادات سيئة متوارثة: إذ ليس من السهل على الإنسان – مهما كانت سلطته – أن يرفع عادة بسيطة إذا استحكمت في شخص، فكيف إذا غدت عرفا اجتماعيا، ومن هنا عد التغيير الذي أحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم برسالته في العرب دليلا على صدق نبوته وأنه مؤيد بقوة قدسية.

يقول: " ومن المعلوم أن رفع عادة صغيرة – كالتدخين مثلا – من طائفة صغيرة بالكلية، قد يعسر على حاكم عظيم، بهمة عظيمة، مع أنا نرى هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد رفع بالكلية، عادات كثيرة، من أقوام عظيمة، متعصبين لعاداتهم، معاندين في حسياتهم، رفعها بقوة جزئية، وهمة قليلة في ظاهر الحال، وفي زمان قصير، وغرس بدلها برسوخ تام في سجيتهم عادات عالية، وخصال غالية، فيتراءى لنا من خوارق إجراءاته الأساسية ألوف ما رأينا، فمن لم ير هذا العصر السعيد، ندخل في عينه هذه الجزيرة ونتحداه، فليجرب بنفسه فيها، فليأخذوا مائة من فلاسفتهم وليذهبوا إليها ليعملوا مائة سنة، هل يتيسر لهم أن يفعلوا جزء من مائة جزء مما فعله صلى الله عليه وسلم في سنة بالنسبة إلى ذلك الزمان"[258].

خــــــــاتمـــــــة

في ختام هذا البحث المقتضب، والذي جلنا من خلاله مع النُوْرْسي في مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان، يمكننا أن نسجل الملاحظات التالية:

1- أن تناول النُوْرْسي لهذه المباحث يأتي منسجما مع منهجه العام في تناول الحقائق الإيمانية، هذا المنهج الذي يتشكل إطاره النظري من المحددات التالية:

1- معقولية الحقائق الإسلامية.

2- اتباع المنهج القرآني.

3- التوازن في عرض أقسام العقيدة.

4- الواقعية والحيوية.

وهذا المنهج قد فصلناه في دراسة أخرى وتتبعنا فيها كيف عرض من خلاله النُوْرْسي بقية مباحث العقيدة الإسلامية[259].

2- أصالة النُوْرْسي وطرافة بعض أفكاره، خصوصا ما تعلق منها بالمفهوم الجديد لدلالة المعجزة.

3- استيعاب النُوْرْسي للمعارف الإسلامية (علم الكلام – فلسفة – تصوف) واطلاعه على معارف عصره واستثمار كل ذلك في عرض قضايا العقيدة تقريرا واستدلالا وردا على الشبهات.

4- وعي النُوْرْسي بالتحديات التي يطرحها العصر أمام قضايا الإيمان.

ومع هذا يبقى ما خلفه النُوْرْسي تراثا ضخما ليس من السهل التعامل معه، لأنه – رحمه الله – لم يكن يكتب ما يكتب وهو قابع خلف مكتبه يعالج موضوعا (باردا) لا حياة فيه، وإنما كان يكتب بدافع الذود عن حصون الإيمان التي تهددها هجمات الفلسفات المادية الإلحادية، وينفخ من روحه في روح أمة أريد لها أن تموت، فرحمه الله رحمة واسعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

---

1 وهو يكتسي الأهمية ذاتها عند المتكلمين، يقول الجويني: " إثبات النبوءات من أعظم أركان الدين، والمقصود منه في المعتقد حصره في خمسة أبواب (أحدها) إثبات جواز انبعاث الرسل ردا على البراهمة و (الثاني) المعجزات وشرائطها وتبين تميزها عن الكرامات والسحرة وما يتميز به مدعي النبوة و(الثالث) في إيضاح درجة دلالة المعجزة على صدق الرسول و(الرابع) تخصيص نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات والرد على منكريها من أهل الملل و(الخامس) الكلام في أحكام الأنبياء وما يجب لهم وما يجوز عليهم ". أنظر: الجويني: الإرشاد، ص 257.

2 الكلمات: ص 533.
3 كتاب التوحيد: ص 176.
4 أنظر التعريف بهم وشبهاتهم والرد عليها في: الشهرستاني: الملل والنحل (2/250-252) وأنظر أيضا ما نقله (ابن العربي) من شبهات منكري النبوة في كتابه (العواصم من القواصم).
راجع: - د/عمار الطالبي: أراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية (العواصم من القواصم)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، د ط، د.ت، ج2 ص 227-229.
5 البيجوري: تحفه المريد، ص 70 وأيضا العدوي: الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، ص 98.
6 وإلى هذا الرأي يذهب الماتريدي أيضا ولكن ليس بناء على الصلاح والأصلح كالمعتزلة، أنظر: - الماتريدي: كتاب التوحيد، ص 177.
7 أنظر " تحفة المريد " ص 70، والشرح الجديد ص 98.
8 محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 91-103، وبعض هذه المعاني نجدها عند الماتريدي ،أنظر: كتاب التوحيد، ص 177-188.
9 الكلمات: ص 843.
10 مختارات من المثنوي: ص 57.
11 راجع مثلا الفهرس التحليلي لكتاب (الكلمات) مادة إنسان [عجزه وضعفه، ص 910]، وأيضا الفهرس التحليلي لكتاب اللمعات مادة الإنسان [عجزه وفقره، ص 625].
12 الكلمات: ص 137.
13 الكلمات: ص 137-139.
14 المصدر نفسه: ص 139.
15 كقوله تعالى **(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا)** [النساء: 163] وأنظر أيضا: [الأعراف: 160،117]، [يونس: 87،2]، [يوسف: 15،3]، [الرعد: 30]، [النحل: 123]، [الإسراء: 86،73]، [طه: 77]، [المؤمنون: 27]، [الشعراء: 63،52]، [فاطر: 35]، [الشورى: 52،17،7] {لم نشر إلى الآيات التي ورد فيها الوحي بمعنى الإلهام كما في [طه: 38] }.
16 كقوله تعالى **(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون)** [يوسف: 109] وأنظر أيضا: [النحل: 43]، [الأنبياء: 25،7].
17 كقوله تعالى **(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا)** [الإسراء: 39] وأنظر أيضا: [إبراهيم: 13]، [النجم: 10].
18 كقوله تعالى **(كذلك يوحي إليك ربك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)** [الشورى: 3]، وأنظر أيضا: [الشورى: 57]، [سبأ: 50].
19 كقوله تعالى **(قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك أن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون)**، [الأنعام: 50]، وأنظر أيضا: [الأعراف: 203]، [يونس: 109،15]، [هود: 12]، [الكهف: 110]، [طه: 13]، [الأنبياء: 108]، [الأحزاب: 2]، [فصلت: 6]، [الأحقاف: 9]، [النجم: 4].
20 كقوله تعالى **(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)** [آل عمران:44] وأيضا: [يوسف: 102].

21 كقوله تعالى **(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هـذا فاصـبر إن العاقبة للمتقين)** [هود: 49].

22 كقوله تعالى **(قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنـذركم بـه ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بـريء مما تشركون)** [الأنعام: 19] وأنظر أيضا [الأنعام: 63، 106، 145]، [هود: 36]، [الكهف: 27]، [طه:48] [العنكبوت: 45]، [الزمر: 65]، [الزخرف: 43]، [الجن:01***].

23 يونس: الآية 2، وتمامها **(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين)**.

24 الإسراء: الآية 94، وبدايتها **(وما منع الناس أن يؤمنـوا إذا جـاءهم الهـدى إلا أن قـالوا)** وأنظـر اعتراض المشركين على الرسالة بسبب (بشرية) الرسول في:[المؤمنون: 24، 33، 34]، [التغابن: 6]، [المدثر: 25]، [هود: 27]، [القمر: 54].

25 سيد قطب: في ظلال القرآن (1759/3).

26 مالك بن نبي (1905-1973)، مفكر جزائري، ولد في مدينة قسنطينة ،انتقل بعد إنهاء الدراسة الثانوية إلى باريس حيث تخرج عام 1935 مهندسا كهربائيا، ذهب إلى القاهرة سنة 1956 وفيها تـرجم كتبـه إلى العربية وأصدر البقية باللغة العربية، عاد إلى الجزائر سنة 1963 وعين مديرا عاما للتعليم العالي، وفي عام 1967 استقال من منصبه وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية، اهـتم بـإبراز مشـكلة العالم المتخلف -ومنه الإسلامي- باعتبارها مشكلة حضارة ولهذا وضع جميـع كتبـه تحـت عنـوان (مشكلات الحضارة)، أهم كتبه: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، المسلم فـي عالم الاقتصاد، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مذكرات شاهد القرن... وغيرها.

27 Malek Ben Nabi : Le phénomène Coranique , S.E.C, Alger, 1992, p 57.

28 الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، دار الشهاب، باتنة (الجزائر)، د.ط، 87، ص 83-84.

29 كذا في الأصل ولعل الأصح (أو).

30 الدكتور خليل أحمد خليل: جدلية القرآن، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1981، ص 95-96.

31 محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، لافوميك والمؤسسة الوطنية للكتـاب، د.ط، 1993، ص 76. - وأركون كعادته لا يفصل بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وإنمـا يطـابق بينهما بشكل كامل في كتابه، كما هو شأنه هنا بالنسبة لمسألة الوحي.

32 خليل أحمد خليل: جدلية القرآن، ص 76 وما بعدها، وعن هذا الاتجاه في النظر إلى (النبوة) وتاريخـه وأسباب ظهوره وأهم ممثليه أنظر: - د/ البوطي: فقه السـيرة، ص 24-29 وأيضـا كتابـه: كبـرى اليقينيات الكونية ص 186-195.

33 لتعريف الوحي لغة واصطلاحا أنظر: - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 32.

34 رسالة التوحيد: ص 103، يرى (مالك بن نبي) أن هذا التعريف يبقى نوعا من الغموض والاختلاط فيما يتعلق باليقين عند الرسول أنظر:.Le phénomène Coranique, p 59 - وهذا الغموض والاخـتلاط هو الذي استند إليه (الدكتور خليل أحمد خليل) في مناقشة ظاهرة الـوحي متوسـلا بمفـاهيم المنطـق الجدلي، أنظر: - جدلية القرآن، ص 97-101.

35 رسالة التوحيد، ص 103-106.

36 يعلق (سيد قطب) على هذا المسلك بقوله: " ولقد جهد ناس من المفسرين المحدثين في إثبات الوحي عن طريق العلم للتقريب، ونحن لا نقر هذا المنهج من أساسه، فللعلم ميدان، هو الميدان، الذي يملك أدواته، للعلم آفاق هي الآفاق التي يملك أدوات كشفها ومراقبتها، والعلم لم يدع أنه يعرف شيئا حقيقيا عن الروح فهي ليست داخلة في نطاق عمله لأنها ليست شيئا قابلا للاختبار المادي الذي يملك العلم وسائله ". (في ظلال القرآن: 1760/3).

37 الإسلام يتحدى: ص 96.

38 المرجع نفسه: ص 98.

39 الكلمات: ص 420.

40 الكلمات: ص 672.

41 الكلمات: ص 672.

42 وقد حدد القرآن صور الوحي في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم)، [الشورى: الآية 51].

43 الكلمات: ص 677.

44 النُورْسي لا يفرق بين (النبي) و(الرسول)، كما يظهر مثلا في [الكلمات، ص 149] وإنما يهتم بالمقارنة بين جانب (النبوة) وجانب (الولاية) وفي شخصية الرسول وسيأتي الحديث عن هذا لاحقا.

45 راجع فصل (عرض النُورْسي للإلهيات) المبحث الثاني، في رسالتنا لنيل الماجستير تحت عنوان (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).

46 مجموعة عصا موسى: ص 135.

47 الكلمات: ص 687، قارن مع ما أورده محمد عبده في رسالة التوحيد: ص 105.

48 ورد في بعض الأحاديث تحديد لعدد الأنبياء منها:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: " يا رسول الله أي الأنبياء أول ؟، قال آدم، قلت: يا رسول الله ونبي كان؟ قال: نعم نبي مكلم، قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضع عشر جما غفيرا).

وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر: " قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟، قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا ". رواه أحمد.

49 مجموعة عصا موسى: ص 135-136.

50 يشير النُورْسي بهذا إلى (الإلهام).

51 الكلمات: ص 669.

52 راجع فصل (النُورْسي والمنهج الصوفي) وقد فصلنا هذه النظرية عند النُورْسي، في رسالتنا المشار إليها أعلاه.

53 الكلمات: ص 669-670 وأيضا ص 146-147.

54 بنى النُورْسي الكلمة الحادية والعشرين (المعراج النبوي) على أساس أن الخطاب موجه ابتداء إلى المؤمن الذي ساورته الشكوك، وافتراض الملحد في مقام المستمع الذي يلتفت إليه من حين إلى آخر بما يلزمه ويبطل شبهته، أنظر مقدمة الرسالة (الكلمات: ص 666).

55 الكلمات: ص 671.

56 كذا في الأصل والسياق يقتضي (بصاحبها ومالكها).

57 مجموعة عصا موسى: ص 136.

58 الكلمات: ص 147.

59 وهو يقترب هنا من التعريف الذي ساقه الجرجاني حيث عرف الإلهام بأنه: (ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة، وهو ليس حجة عند العلماء إلا عند الصوفيين). [أنظر كتاب التعريفات ،ص 51].

60 مجموعة عصا موسى: ص 137، قارن مع ما أورده الأمير في (الموقف السادس والخمسون)، أنظر: المواقف، ج1 ورقة رقم 34ب.

61 الكلمات: ص 147-148.

62 الكهف: الآية 109 وتمامها **(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)**.

63 مجموعة عصا موسى: ص 137-138.

64 ولعل هذا ما جعل العلماء لا يعتبرون (الإلهام) حجة كما ذكر الجرجاني، وجعل كبار الصوفية كأبي يزيد والجنيد والغزالي والشاذلي، يقيدون الأخذ بالإلهام بمدى اتفاقه مع الوحي المعصوم، يقول أبو الحسن الشاذلي: "إنه يرد علي الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة ". (أنظر: الأمير عبد القادر: المواقف، ج1، ورقة رقم 19ب). وقال أيضا: "إذ تعارض كشفك مع الكتاب والسنة، تمسك بالكتاب والسنة ودع كشفك، وقل لنفسك إن الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة ". {أنظر: د/عبد الحليم محمود: المنقذ من الضلال (بحوث التصوف ضمن المجموعة الكاملة)، ص 246-247}، وأنظر أيضا: القشيري: الرسالة، ص 18-19.

65 مجموعة عصا موسى: ص 138.

66 الشيخ طاهر الجزائري: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، قدم لها وعلق عليها: محمد الصالح الصديق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1990، ص 68-69.

67 نفس المرجع: ص 69.

68 المرجع نفسه: ص 71، وأنظر في ذلك أيضا: - البيجوري: تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص 71-75.العدوي: الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، ص 99-100.

69 الكلمات: ص 62.

70 المصدر نفسه: ص 63.

71 يقول صاحب الجوهرة: ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبه.

ويعلق (البيجوري) على هذا البيت بقوله: " أي لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت الفلاسفة (لعنهم الله تعالى) فالذي ذهب إليه المسلمون جميعا أن النبوة خصيصة من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها ". - أنظر: تحفة المريد، ص 75.

72 الكلمات: ص 112، وأيضا ص 486.

73 يقول الأشعري: "واختلفوا في النبوة: هل هي ابتداء أم ثواب ؟ فقال قائلون: هي ابتداء، وقال قائلون هي جزاء على عمل الأنبياء، هذا قول (عباد)، وقال (الجبائي): يجوز أن تكون ابتداء". أنظر: مقالات الإسلاميين (137/2).

74 الكلمات: ص 109.

75 الجرجاني: التعريفات ،ص 201.

76 المرجع نفسه: ص 206.

77 اللمعات: ص 194.

78 الكلمات: ص 279 وأيضا مجموعة عصا موسى: ص 129.
79 الكلمات: ص 55.
80 حول مسألة عصمة الأنبياء، وبشأن ما ورد في القرآن ويفيد بظاهره وقوع بعض المخالفات منهم. أنظر: الشيخ طاهر الجزائري: الجواهر الكلامية، ص 70-71.
81 سورة الفتح: الآية 2، وتمامها (**ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما**).
82 اللمعات: ص 45.
83 الكلمات: ص 109 وأيضا ص 790.
84 المصدر نفسه: ص 204.
85 المصدر نفسه: ص 74.
86 المصدر نفسه: ص 62.
87 سنعود إلى هذه المسألة لاحقا حينما نبين تصور النُورْسي لدلالة المعجزة.
88 الكلمات: ص 279، وهنا نلمس ردا ضمنيا على الدعوات العلمانية التي كانت تسعى إلى حصر الدين (الإسلام بالخصوص) في الجانب الروحي.
89 الكلمات: ص 63، قارن مع: السرهندي: المكتوبات: (1/71-75).
90 الكلمات: ص 62.
91 المصدر نفسه: ص 63.
92 المصدر نفسه: ص 84.
93 المصدر نفسه: ص 119، وأيضا اللمعات: ص 567.
94 رسالة التوحيد: ص 103.
95 الكلمات: ص 119، واللمعات: ص 568.
96 الشيخ طاهر الجزائري: الجواهر الكلامية، ص 65.
97 الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين،ص 151، وأنظر أيضا البوطي: كبرى اليقينيات الكونية،ص 214 وما بعدها
98 لبيان الظروف التاريخية التي نشأ فيها هذا التيار وأهم أفكاره وزعمائه راجع: - د/البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 221-228.
99 اللمعات: ص 99.
100 من هذا النص يتبين لنا وعي النُورْسي بالدوافع التي حملت بعض المصلحين على أن يتعسفوا في تأويل النصوص كي تتوافق مع ما ظنوه صدقا وحقا في الآراء الغربية، كما هو الشأن مع الإمام (محمد عبده) في بعض آرائه.
101 آل عمران: الآية 59. وتمامه (**خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**).
102 وجودها بهذا الشكل لا ينفي كونها صادرة من (أب) و (أم) ومن ثمة تكون خارجة عن قانون التناسل، إلا إذا كان مقصود الأستاذ: أنها تأتي إلى الوجود على غير معهود قانون التناسل الذي نجده عند الإنسان أو الثدييات.
103 هذه الفكرة الثانية في النص، فكان ينبغي أن يقول (ثانيا) بعد أن قال في البداية (أولا).
104 اللمعات: ص 58-59.
105 الكلمات: ص 221.
106 الكلمات: ص 279.

107 المصدر نفسه: ص 279.
108 الكلمات: ص 280–296، وقد ذكرت الأمثلة على امتداد هذه الصفحات مفصلة.
109 سبأ: الآية 12 وتمامها **(وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير).**
110 البقرة: الآية 60، وتمامها **(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين).**
111 آل عمران: الآية 49، وتمامها **(ورسولا إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم، أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين).**
112 قول النُوْرْسي (داء) يشير إلى أن معجزة إحياء الموتى ليست داخلة تحت ما يمكن أن يصل الطب البشري لأن الموت ليس داء.
113 سبأ: الآية 10، وبدايتها **(ولقد آتينا داود فضلا يا جبال أوبي معه والطير).**
114 ص: الآية 20، وبدايتها **(وشددنا ملكه...).**
115 النمل: الآية 40، وتمامها **(قال هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم).**
116 أنظر: الكلمات: ص 280–296.
117 وذلك مثلما حدث لمسألة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أنظر: – الزرقاني: منا هل العرفان (261–253/2).
118 الكلمات: ص 293.
119 المصدر نفسه: ص 295–297.
120 أنظر هذه المباحث مثلا عند السرهندي: المكتوبات (89/1).
121 اللمعات: ص 36.
122 الكلمات: ص 149، قارن مع آراء (الجيلي) الذي يرى بأن نهاية الولي هي بداية النبي، أنظر يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص 158.
123 الكلمات: ص 671.
124 اللمعات: ص 100.
125 أنظر في ذلك: طاهر الجزائري: الجواهر الكلامية، ص 67، – البيجوري: تحفة المريد، ص 90–91.
126 وهم جمهور المعتزلة.
127 اللمعات: ص 99.
128 اللمعات: ص 575.
129 الكلمات: ص 533.
130 مثل (الكلمة التاسعة عشرة: إثبات الرسالة الأحمدية) [الكلمات: ص 268]، (والكلمة الحادية والثلاثون: المعراج النبوي) [الكلمات: ص 666–706].
131 الكلمات: ص 343، وسنعود إلى هذه الخصائص عند الحديث عن (الحقيقة المحمدية).
132 المصدر نفسه: ص 63.

133 الكلمات: ص 497 وأيضا ص 668.
134 المصدر نفسه: ص 423.
135 المصدر نفسه: ص 515.
136 المصدر نفسه: ص 107.
137 الكلمات: ص 255.
138 المصدر نفسه: ص 344، ص 618.
139 المصدر نفسه: ص 255.
140 وهذه الفكرة نصادفها أيضا عند صوفي آخر تأثر النُورْسي بتعاليمه، وهو (جـلال الـدين الرومـي)، حيث يقول مبينا العلاقة بين الأنبياء: "بما أن كل رسول يعرف الرسل الآخرين، فإذا تتكـرت لأحـدهم كأنك لم تعترف بأي أحد منهم، إنهم نور واحد يشع من نوافذ متعددة، ويتجلى في شخص كل مـنهم، إذا رفضت جزءا من هذا النور فكأنك تشبه الخفاش لما يرفض شمس هذه السنة بينما يتقبل شـمس السـنة الماضية، إن شمس السنة الماضية وشمس هذه السنة في الحقيقة شيء واحد، الفرق أنه لم يجرب شمس السنة الماضية ".
(أنظر: إيفادي فيتري مايروفيتش: الإسلام الطريق إلى الحق، ترجمة: ويزة قلاز ،دار الأمة، الجزائـر، ط1، 1998، ص 24).
141 المقدمة: ص 520.
142 المرجع نفسه: ص 521.
143 المرجع نفسه: ص 521.
144 الجرجاني: التعريفات ،ص 122، وهذا تعريف (ابن عربي)، أنظر: السرهندي: المكتوبات (174/3).
145 ذكر (العجلوني) عن هذا الحديث كلاما كثيرا ولكنه لم يشر لا إلى صحته ولا إلى ضعفه أو وضـعه، وإنما قارن بينه وبين حديث (أول ما خلق الله القلم)! . أنظر: إسماعيل بن محمـد العجلـوني: كشـف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح وتعليـق: أحمـد القـلاش ،مؤسسة الرسالة، ط 4، 1405هـ/1985، ج1، ص 311-314. -ولم يذكره الشـيخ الألبـاني فـي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وإنما تعرض لأحاديث تبيين أسبقية الرسول صـلى الله عليـه وسلم من حيث الخلق كحديث: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) قال الألباني: موضوع، ومثله (كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين)، موضوع ذكر هذا والذي قبله السيوطي في ذيل الأحاديث الموضـوعة نقلا عن ابن تيمية وأقره.
أنظر: ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمـة، مكتبـة المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ/1993، ج1 ص473.
146 لم أجده بهذا اللفظ وإنما الذي عثرت عليه (أنا من الله والمؤمنون مني). قال عنه السخاوي: قال شيخنا -يعني ابن حجر- أنه كذب مختلق، وقال بعض الحفاظ لا يعرف بهذا اللفظ مرفوعا، ولكن ثبـت فـي الكتاب والسنة أن المؤمنون بعضهم من بعض، وفي السنة قوله صلى الله عليـه وسـلم لحـي مـن الأشعريين: هم مني وأنا منهم.
أنظر: الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي: المقاصد الحسنة في بيـان كثيـر من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الهجرة، بيروت، د.ط، 1406هـ/1986م، ص 98.
وقال الألباني: هو كذب مختلق كما قال الحافظ ابن حجر، وقال بعض الحفاظ لا يعـرف بهـذا اللفـظ مرفوعا.

أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (237/1).

147 المكتوبات (173/3)، وأنظر تفصيل هذا النص على امتداد الصفحات (174-184) من نفس الجزء، وهو مليء بالعبارات الغامضة والآراء التي لا ينفع معها إلا استعمال منهج "ابن خلدون" المشار إليه أعلاه.

148 أنظر مثلا (المواقف) رقم: 86، 89، 156، 162، وغيرها.

149 الأمير عبد القادر: المواقف، ج1، ورقة رقم 54 أ.

150 أنظر الأمير عبد القادر: المواقف، ورقة رقم 54 ب – رقم 57 ب.

151 تخريج الحديث! .

152 المواقف: ج1، ورقة رقم 57 ب.

153 مختارات من المثنوي: ص 48-49.

154 اللمعات: ص 567-568، وأيضا: الكلمات: ص 119.

155 هذا السبق الوجودي للذات المحمدية على وجود الموجودات يبرره الصوفية بحديث (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين). قال عنه الألباني: موضوع، ومثله (كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) ذكر هذا والذي قبله السيوطي في ذيل الأحاديث الموضوعة نقلا عن ابن تيمية وأقره. أنظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (473/1).

156 من بين (محن) الصوفية أن اللغة تقصر عن التعبير عن مرادهم وإيصال (وجدانيتهم) إلى المخاطبين، ولذا تراهم يتوسلون بضرب الأمثلة، ويطلبون من المستمع إما التسليم أو حمل الأقوال على مراد القوم دون خلط أو غلط، يقول الأمير عبد القادر – بعد أن ضرب مثالا لتوضيح واحدة من هذه المسائل- "وهذا غاية ما قدر عليه أهل الوجدان في التفهيم، فافهم السر واحذر الغلط، وإذا عرفت فاحمد الله وإلا آمن به على مراد أهله وذوقهم فإنهم الفرقة الناجية". (المواقف: ج1، ورقة رقم 55 ب -56 أ).

157 كذا في الأصل والسياق يقتضي أن يقول (احتوائها) إذ الضمير يعود على (النواة).

158 الكلمات: ص 692-693 وأيضا: مختارات من المثنوي: ص 87-88.

159 الكلمات: ص 688.

160 يشرح الأمير عبد القادر هذه المسألة بضرب مثال فيقول: "ولا يفهم مما ذكرناه حلول وتجزئة ولا جزئية، فإن معنى إيقاد سراج من نور سراج أن الأول أثر في الثاني فظهر الثاني على صورة الأول بل الثاني عين الأول ظهر في فتيلة ثانية من غير انتقال عن الأول ". (أنظر: المواقف: ج1، ورقة رقم 55 ب).

161 الكلمات: ص 693.

162 مختارات من المثنوي: ص 78.

163 اللمعات: ص 498.

164 يقول الجرجاني: " الإنسان الكامل: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، الكلية والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله: كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه: كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه: كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة، التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه، وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير، كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير ". (التعريفات: ص 56).

165 قارن مع قول الأمير عبد القادر: " وأما وجه تسميته – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم بالإنسان الكامل فلأن كل إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة مظهر له وللوازمه". (المواقف: ج1، ورقة رقم 57 ب).
166 اللمعات: ص 598-599.
167 الكلمات: ص 670.
168 المصدر نفسه: ص 674.
169 الكلمات: ص 673-674.
170 أنظر: يوسف زيدان: الجيلي فيلسوف الصوفية، ص 120-121.
171 الكلمات: ص 62-63.
172 المصدر نفسه: ص 672.
173 المصدر نفسه: ص 678.
174 الكلمات: ص 671.
175 اللمعات: ص 345.
176 وهي اللمعة الحادية عشر (اللمعات: ص 78-96).
177 سورة آل عمران: الآية 31، وتمامها (**ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**).
178 اللمعات: ص 93.
179 اللمعات: ص 94.
180 المصدر نفسه: ص 95.
181 في حين أنه لما تحدث عنه بلسان (الحقيقة) اكتفى بدلالة الوجدان.
182 سورة القلم: الآية 4.
183 اللمعات: ص 95.
184 سورة هود: الآية 112، وتمامها (**ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير**).
185 اللمعات: ص 95-96.
186 راجع الفصل السادس (النُورْسي وعرض الإلهيات)، من بحث (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).
187 اللمعات: ص 537.
188 الكلمات: ص 252.
189 رسالة الحشر: ص 36، وأيضا: الكلمات: ص 62.
190 أنظر: (الكلمة التاسعة عشر): الكلمات: ص 254-268.
191 حيث نجده تناول القرآن باعتباره أعظم معجزة للرسول في (رسالة المعجزات القرآنية) وهي الكلمة الخامسة والعشرون [الكلمات: 419-540]، ومعجزة (المعراج النبوي) الكلمة الحادية والثلاثون [الكلمات: ص 666-701].
192 وهذا ما اعتمده أبو منصور الماتريدي ،أنظر: كتاب التوحيد، ص 202-210.
193 الكلمات: ص 255.
194 الكلمات: ص 256.
195 المصدر نفسه: ص 691.
196 المصدر نفسه: ص 589، وأيضا ص 255-256.

197 رسالة الحشر: ص 36.
198 الكلمات: ص 261، وقريبا من هذا المعنى نجده عند (مالك بن نبي)، إذ يعتبر قول النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) [البخاري، (86/1)]، وقد حول الأرض إلى مكان (مقدس) " فالقداسة أضحت في كل شيء، وأضفت القداسة مسحتها على العالم كله "، أنظر: مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو ،دار الفكر (الجزائر)، دار الفكر (دمشق)، ط1، 1413هـ/1992م، ص 73-74.
199 الكلمات: ص 690-691، وقد أوردها النُورْسي مفصلة ومتداخلة، ومما أدى إلى التكرار، ولذلك سنعمد إلى اختصارها وضم المتقارب منها تحت عنصر مشترك.
200 الكلمات: ص 691.
201 أنظر: الفصل السادس، مبحث الأسماء والصفات، من بحث (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).
202 الكلمات: ص 252، وأيضا: اللمعات: ص 537، ص 538.
203 آل عمران: الآية 19، وتمامها (**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**).
204 الفتح: الآية 29، وتمامها (**تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**).
205 الكلمات: ص 252-253.
206 هذه القاعدة يقررها النُورْسي بناء على قياس الغائب على الشاهد.
207 لخص (ابن الوزير اليمني) معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يلي:
معجزاته صلى الله عليه وسلم قسمان: حسية وعقلية.
الحسية ثلاثة أقسام:
الأشياء الخارجة عن ذاته (كانشقاق القمر).
الأشياء العائدة إلى ذاته (كالخاتم بين كتفيه).
ما يتعلق بصفاته الكثيرة (الشجاعة، الرحمة ...).
العقلية وهي ست أقسام:
ظهر بين قبيلة لم يكونوا أهل علم.
تحمل المتاعب والمشاق في سبيل دعوته.
وردت البشارة به في الكتب السابقة.
لم يكن مشغولا قبل البعثة بالمسائل التي جاء بها في رسالته.
مستجاب الدعوة.
إخباره بالغيب.
أنظر: دلائل التوحيد، ص 257-258، (نقلا عن كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير).
208 الكلمات: ص 262-263.
209 يقول الجرجاني: " الارهاص: ما ظهر من الخوارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة

نبي قبل بعثته، وما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة من أمر خارق للعادة، قيل: أنها من قبيل الكرامات ،فإن الأنبياء لا يقصرون عن درجة الأولياء ". (التعريفات ،ص 31).

210 إذ نجده في (الكلمة الحادية والثلاثين) يعدد هذه الدلائل: أولا: بشارات الأنبياء، ثانيا: بشارات الكهان، ثالثا: الإرهاصات ،رابعا: المعجزات، (أنظر: الكلمات: ص 684).

211 راجع تفصيل ذلك في الفصل السادس، من بحث (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).

212 الكلمات: ص 421.

213 الكلمات: ص 481–482.

214 مجموعة عصا موسى: ص 154–155.

215 – اللمعات: ص 553–556.

216 أنظر بعد هذه الدلائل التي أحصاها العلماء من خلال تتبعهم لما ورد في الكتب السابقة: عبد الرحمان حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 328، 337.

217 الكلمات: ص 689، يعلق الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– على مثل هذه الأمور فيقول: " وقد روى البعض أن ارهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربعة عشر شرفة من ديوان كسرى ،وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهمدت الكنائس حول (ساوة) ،بعد أن غاضت... وهذا الكلام تعبير غلط عن فكرة صحيحة، فإن ميلاد محمد كان حقا إيذانا بزوال الظلم واندثار عهده واندكاك معالمه، وكذلك كان ميلاد موسى، ألا ترى أن الله لما وصف جبروت فرعون واستكانة الناس إلى بغيه، ثم أعلن عن إرادته في تحرير العبيد واستنقاذ المستضعفين قص علينا قصة البطل الذي يقوم بهذه الأعمال فقال **(وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه...)**. وقد كانت رسالة محمد بن عبد الله أخطر ثورة عرفها العالم للتحرر العقلي والمادي، وكان جند القرآن أعدل رجال وعاهم التاريخ وأحصى فعالهم في تدويخ المستبدين وكسر شوكتهم، طاغية أثر طاغية. فلما أحب الناس –بعد انطلاقهم من قيود العسف– تصوير هذه الحقيقة، تخيلوا هذه الإرهاصات وأحدثوا لها الروايات الواهية، ومحمد غني عن هذا كله، فإن نصيبه الضخم من الواقع المشرف يزهدنا في هذه الروايات وأشباهها ". (أنظر: الشيخ محمد الغزالي: فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة (الجزائر)، د.ط، د.ت، ص 60–61).

218 أنظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، شركة الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت، ج4، ص 242–243.

219 وهي ثابتة بقوله –تعالى– (**اقتربت الساعة وانشق القمر**)، [سورة القمر: الآية 1]، وأنظر أيضا: صحيح البخاري (186/4، 243–244).

220 أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يخطب يوم جمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع هلكت الشاء فادع الله يسقينا، فمد يديه ودعا، قال أنس: وإن السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحابا، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها [إشارة إلى شدة المطر] فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا، فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه، فتبسم وقال: حوالينا ولا علينا فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة كأنه أكليل". (صحيح البخاري: 172/4–173).

221 جاء في المسألة عدة أحاديث منها ما أخرجه البخاري عن أنس (170/4–171)، وعن جابر (172/4)، وعن عبد الرحمن بن أبي بكر (172/4).

وأيضا ما أخرجه مسلم عن جابر " أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم)، أنظر: – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ط، د.ت، ج7، ص 60. وفيه أيضا حديث آخر عن جابر (59/7–60) وآخر عن أبي حميد (61/7).

222 حديث الجذع أخرجه البخاري عن ابن عمر (173/4) وعن جابر (173/4) وفيه (كان يقوم إلى شجرة أو نخلة)، وعن جابر أيضا (174/4).

223 لعله يقصد الجذع أو ما أورده البخاري عن معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقا من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن، قال: حدثني أبوك – يعني عبد الله – أنه آذنت بهم شجرة ". أنظر: صحيح البخاري (240/4).

224 لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إلي لأعرفه الآن ". (صحيح مسلم: 58/7–59).

225 ذكره النُورْسي في (الكلمات: ص 689)، والأحاديث المثبتة لهذه المعجزة ثابتة عند الشيخين.– فعند البخاري: عن عمران بن الحصين (168/4–169)، وفيه تكثير الماء وعن أنس أربعة أحاديث (169/4–170)، وعن البراء (170/4). – وعند مسلم: عن أنس أربعة أحاديث (59/7).

226 الحديث عند البخاري (32/7)، وعند مسلم (14/7–15)، وليس فيهما تكليم الذراع. قال الشيخ الألباني – رحمه الله – في تعليقه على الحديث: حديث صحيح رواه هكذا ابن هشام (240/2–241)، وعن ابن إسحاق بدون سند... ومثله عند أحمد (رقم 2785)، من حديث ابن عباس وسنده حسن، كما قال ابن كثير (109/4) وعزاه الحافظ (101/10) لابن سعد بسند صحيح، ومثله عند أبي داود (46/1) والدارمي (33/1) عن جابر وهو منقطع لكن يقويه مرسلي أبي سلمى عندهما، وفي حديثهما إخبار الذراع إياه بأنها مسمومة، وفي الثاني منهما موت بشر مسموما، وقد وصله الحاكم وصححه عن أبي هريرة وسنده حسن وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قتلها –أي قتل اليهودية التي وضعت السم– [أنظر: الغزالي: فقه السيرة، ص 376–377 (بالهامش)].

227 لعله يشير إلى ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف رجفة بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان). (صحيح البخاري: 197/4).

228 (أنظر: سورة النجم: الآية 7– الآية 17)، وأيضا: البخاري (168/4، 248–250)، مسلم (99/1–100، 109)، وغير هذا من المواضع.

229 الكلمات: ص 263.

230 المصدر نفسه: ص 689، ولا يخفى ما في هذا الكلام من مبالغة إذ لا تبلغ المعجزات الثابتة بالأحاديث الصحيحة العدد الذي أشار إليه الأستاذ.

231 وهذا ما جعلنا نعتبر قوله بأن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بلغت الألف، من قبيل المبالغة.

232 اللمعات: ص 125.

233 يظهر لنا من هذه المقدمة اعتماد النُورْسي على التحليل العقلي للمسألة واستناده إلى المعارف العلمية التي حصلها في الفلك والتاريخ.

234 كذا في الأصل والصواب: نقلتها.

235 نلاحظ هنا استعمال النُورْسي للتعميم كي يشمل كلامه جميع المعجزات، ثم يخصص ما هو بصدد مناقشته (إنشقاق القمر)، كما نلاحظ اعتماده على الأدلة العقلية والتجارب الحسية، وحتى الدليل النقلي (الآية)، لما استعمله حلله في إطار الظروف التاريخية أي في النهاية حوله إلى دليل عقلي.
236 وهنا يرجعنا النُورْسي إلى ما سبق وأن قرره بأن المعجزة تكون في حدود الإمكان العقلي.
237 نلاحظ أن النُورْسي بدأ الجملة بتعبير مجازي لكنه عاد إلى لاستعمال الكلمات للدلالة على حقيقة الزمن واختلاف البلدان من حيث التوقيت.
238 وهذا يصدق أيضا على بقية المعجزات.
239 أنظر تفصيل مسألة حرية الإنسان في فصل (القدر وسلوك الإنسان)، من بحث (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).
240 وفي هذا إشارة ضمنية إلى مسلك أولئك الذين يحاولون تقريب مفهوم المعجزات بإرجاعها إلى الأشياء العادية التي تحدث في الكون بدعوى (عقلنه) المعجزة! .
241 راجع فصل (عرض النُورْسي للإلهيات)، عنصر: الاستدلال بالقرآن، من بحثنا (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).
242 راجع فصل (النُورْسي والمنهج الفلسفي)، عنصر: الموازنة بين الفلسفة والقرآن، من بحثنا (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة).
243 اللمعات: ص 536.
244 المصدر نفسه: ص 537.
245 اللمعات: ص 537.
246 المصدر نفسه: ص 553.
247 الكلمات: ص 259–260.
248 المصدر نفسه: ص 261.
249 اللمعات: ص 567.
250 الكلمات: ص 261.
251 المصدر نفسه: 256–257.
252 وقد بين (الدكتور طه عبد الرحمن) أن اللغة الصوفية، عند التأمل، نجدها أبعد ما يكون عن (الغموض) الذي قد يصفها به خصومها، بل هي على العكس من ذلك، أوفى بحاجة مستعملها في إيصال خطابه، أنظر هذه الملاحظات في: – د/ طه عبد الرحمن: العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، ط2، 1997، ص 162–165.
253 الكلمات: ص 257.
254 المصدر نفسه: ص 257.
255 المصدر نفسه: ص 257.
256 المصدر السابق: ص 258، وهو هنا يلتقي مع (ابن خلدون) الذي يرى (أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة)، وذلك لما فيهم من أخلاق (التوحش) التي تجعلهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة... [أنظر: المقدمة، ص 166–167].
257 الكلمات: ص 258.
258 المصدر نفسه: ص 258.

259 والدراسة تحت عنوان (النُورْسي ومنهجه في عرض العقيدة) وهو بحث تقدم به الباحث لنيـــل شـــهادة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر).